النشوء والارتقاء في المقتطف

الدكتور توفيق شومر*

الملخص

الهدف الأساسي من هذا البحث هو إبراز الطريقة التي تعامل بها المفكرون العرب في عصر النهضة مع فكرة النشوء والارتقاء، وإبراز الحوار الفكري الغني الذي ترافق مع طرح الفكرة في مجلة (المقتطف) إحدى أهم المجلات التي عنيت بالتطور العلمي والثقافي في الوطن العربي، وفي هذا إبراز لمحورية الجدل العلمي في تطور الرؤى العلمية والفكرية بما يتناسب وتوليف الأفكار العلمية، بصيغتها العالمية، وبما يتناسب والتراث والثقافة العربية الإسلامية.

* قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة فيلادلفيا- الأردن.

1 مقدمة:

ابتدأت مع الربع الأخير من القرن التاسع عشر معركة علمية دارت رحاها في مصر وبلاد الشام، لتثبيت أسس علمية جديدة ومفاهيم حديثة داخل المجتمع العربي الذي كان تحت التأثير المباشر لعناصر التخلف التي ورثها عبر القرون الماضية، عصر الظلمات العثماني. كانت هذه المعركة واحدة من عدة معارك أخرى تثار هنا وهناك ..، تلك هي معركة النشوء والارتقاء.

1 – 1 فكرة النشوء والارتقاء

يعدُّ شبلي شميل أول من بدأ في نشر فكرة النشوء والارتقاء[1] في مصر والوطن العربي، واستقبلت مجلة المقتطف كتاباته رغم عدم اتفاقها مع ماديته الحادة التي أطلقها منذ بداية مؤلفاته[2]. ومع أهمية شبلي شميل كرائد في الدفاع عن النشوء والارتقاء، إلا أن إيفاؤه حقه يتطلب منا تخصيص بحث مستقل عن الدور المحوري الذي أدّاه في نشر الفكرة[3]، أما هنا فإنّني سأتناول القضية منذ اللحظة التي تولت فيها مجلة المقتطف الدفاع عن الفكرة وهذا مرتبط بسنتها السابعة من نشأتها[4] حيث تصدرت المعركة وأصبحت مدافعاً أساسياً عن مذهب النشوء والارتقاء وإن كان هذا الدفاع على مذهب الحيويين[5]، ومنذ مطلع السنة السابعة نشرت نبذة عن حياة تشارلز داروين صاحب كتاب "أصل الأنواع"، ثم نشرت ملخصاً لأفكاره ومبادئه، مع تدعيمات أخرى عن مواقف العلم الغربي من مذهب داروين .

---

1 - المصري، أيفون، فلسفة العلم والدين لدى شبلي شميل، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان 1988، ص 51.

2 - شميل، شبلي، فلسفة النشوء والارتقاء، دار مارون عبود، طبعة جديدة ، بيروت 1983، ص 63.

3- قد يشفع للباحث أن البحث العلمي المتعلق بشبلي شميل أكثر بكثير من ذاك المرتبط بالمقتطف وعليه فإن إبراز دور المقتطف في نشر الفكر والعلم يسهم في أغناء المكتبة العربية.

4 - صروف فؤاد، يعقوب صروف، دار المقتطف، دون تاريخ، ص 44 – 45.

5- الحيويون هم فئة من المنادين بفكرة النشوء والارتقاء، لكنهم يعتقدون بأن التغيرات البيولوجية أساسها تغير طارئ بالتركيب البنائي للكائنات الحية، أي أنهم لا يؤمنون بالفكرة القائلة بتولد الكائنات الذاتي وهي فكرة كانت شائعة إلى نهاية القرن التاسع عشر.

أدّت حيادية المقتطف دوراً بارزاً في إبراز الرؤية الفلسفية لمذهب النشوء والارتقاء ببعديها الإلحادي والإيماني، كما أنها أدّت الدور الرئيسي، إن لم نقل الحاسم، في زرع بذرة النشوء والارتقاء في المجتمع المصري إلى الحد الذي جعل مفكراً كمحمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار يكتب في مقدمة كتاب "الإسلام والنصرانية بين المعلم والمدنية" لمحمد عبده، أن فكرة تقدم المجتمع هي ضرب من نشوء وارتقاء[6]، وتبقى محاولات رشيد رضا وغيره من أصحاب التيار الديني نوعاً من التسويغ الديني لفكرة التطور، لاحتواء ما لم يستطيعوا دحضه، وإبعاد خطر كان يهدد مقدرتهم على الاستمرار في السيطرة على البعد الثقافي للأمة العربية. رغم أن محمد رشيد رضا كان أحد تلاميذ مدرسة جمال الدين الأفغاني الذي إذا اعتمدنا فقط على كتابه "رسالة الرد على الدهريين" يعدُّ من أشد الأعداء لمذهب النشوء والارتقاء في الشرق إذْ حاول نقد الأفكار الأساسية للنشوء والارتقاء.

ونستطيع أن نقول أيضاً إن التوجهات الدينية المتشددة بشكل عام (بمختلف طوائفها) حاولت أن تهاجم بكل قوتها هذا المذهب، فنرى إبراهيم الحوراني - وهو مسيحي سلفي - يتصدى لمذهب النشوء والارتقاء في كتابين الأول "مناهج الحكماء في نفي النشوء الارتقاء " والثاني " الحق اليقين في الرد على بطل داروين" [7].

1 -2 المقتطف والجو الثقافي العام في الوطن العربي:

على الرغم من الطابع العلمي لمجلة المقتطف ومحاولتها المستمرة للابتعاد عن التسويغ الديني والسياسي لما تعرضه من أفكار فيها، نجد دائماً في فحوى كتاباتها إجابات عن أسئلة من النوع: "ما هي الحقيقة وكيفية البحث عنها وما على الجمهور قراء العربية أن يعرفوه"[8]، مما يدل على الدور المهم والفاعل الذي أدّته المجلة في

6- عبدو، محمد، الإسلام والنصرانية بين العلم والدين، مع مقدمة لمحمد رشيد رضا، دار الحداثة، بيروت 1981، ص 2.
7- المصري، مرجع سابق، ص 53.
8- حوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار، ط 3 ، بيروت 1977، ص 295.

البناء الثقافي للشارع العربي، فضلاً عن تحديد طبيعة الموضوعات المطروحة للبحث. وكان مستوى استقبال المثقفين العرب لها حاداً وعدائياً بوضوح عند الفريق المحافظ، في حين كان استقبالها حذراً عند الفريق الشاب. ففي بغداد، على سبيل المثال، لم يرحب بالمقتطف سنة 1876 إلا بعض الشباب "بينما قاومها المحافظون من مختلف المذاهب السنية والشيعية والمسيحية واليهودية"[9].

أما المناظرات التي دارت في المقتطف في السنة السابعة فكانت بين "مؤيد لهذا المذهب ومعارض له". وقد بدأ المعركة ادون لويس الذي "أشاد بمذهب داروين في النشوء والارتقاء في خطبة ألقاها في حفلة التخرج عام 1882" "فرد عليه جيمس انس"[10]. لم تكن هذه المناظرات إلا أصداء للمقالات التي قدمتها المقتطف في الجزء الأول والثاني والثالث من السنة السابعة من مثل: "شارلز دارون"، "المذهب الداروينى"[11]. وعلى الرغم من محاولة المقتطف نشر فكر النشوء والارتقاء إلا أنه من الملاحظ ومنذ المقال الأول الذي نشر فيها أنها كانت تحاول أن تقدم المواقف التي يمكن أن تؤيدها والمواقف التي يمكن أن تخلق إشكالاً، ففي أول مقال نشرته عن "أصل الأنواع" لرزق الله البرباري عام 1876 نجده يأخذ "على هذه النظرية الزعم بأن الخلية الأولى قد ولدت من تلقاء نفسها منذ ملايين السنين، وهذا إنكار للخالق".[12]

الصراع إذن هو صراع فكري بين مؤيدي الفكر المادي وأنصاره مثل شبلي شميل وادون لويس، ويوسف الحايك من جانب، والطبيعيين من أنصار الفكر المثالي (الحيوي) من أمثال يعقوب صروف، وجيمس أنس، وغيرهما من جانب آخر. وهؤلاء كلهم يشكلون محوراً يقابله السلفيون من أمثال الأفغاني ومحمد عبده وإبراهيم

9- المرجع السابق، ص 295 -296.

10- محافظة، علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الدار الأهلية للنشر، ط 5، بيروت 1987، ص 238 -239.

11 - المقالات التي اعتمدت عليها في مجلة المقتطف مقدمة في كشف مستقل أدناه.

12- يجب أن نذكر ابتداءً أن مقالات المقتطف الرسمية كانت تعبر في الأساس عن فكر محررها يعقوب صروف وبعده ابنه فؤاد صروف.

الحوراني ومحمد فريد وجدي ... الخ في محور آخر، ومن ثمَّفإن محـــور الـــصراع، كما يراه بعضهم، كان صراعاً بين المادية والمثالية[13].

ولكن "الاعتراف بالتقدم العلمي والتقني والترويج له يبينان التغير القوي جداً الذي حدث في الفكر الشرقي، ويدلان على الاتجاه إلى علمنة الفكـــر النظـــري"[14]. ولـــذلك حاول كثيرون من أتباع الإطار السلفي والديني تجيير الكشوف العلميـــة لمـــصلحتهم الأيديولوجية والطبقية.

ضمن هذه الأجواء الثقافية ازدهرت الصحافة، وشهدت المقتطف كأول مجلة علميـــة شاملة تعني بتطور العلوم والحضارات الغربية ، وتقدم آخر ما وصل إليه الفكـــر الغربـــي من مجادلات دون أن تنسى ربط مجمل هذه المجادلات بالتراث الذي يتوافق مع أهـــدافها، أو على الأقل ربط هذه المجادلات بالمستوى الثقافي العام في مصر والوطن العربي. إذن، فقد أدَّت المقتطف الدور الأكبر في نشر الفكر العلمي والتفكير العلمي في مصر والـــوطن العربي، وكانت طرفاً في مجمل المجادلات التي ترافقت مع هذه الحركة.

2 تحديد الأبعاد الفكرية لموضوعات المقتطف عن النـــشوء والارتقـــاء 1882-1911م:

2 – 1 أعلام فكرة التطور

حاولت المقتطف باستمرار أن تكون حيادية في عرضها لأعلام فكـــرة النـــشوء والارتقاء العلميين، فحاولت الاهتمام بهم حسب أهميتهم العالمية ودورهم فـــي تثبيـــت فكرة النشوء والارتقاء: فبدأت بلا شك بعرض لحياة وأفكـــار "العظـــيم داروبـــن" أو "الشهيد داروين"، ثم تبعته بعرض لأفكار ولـــس " شـــريك داروبـــن فـــي الانتخـــاب الطبيعي"، ثم هكل الذي اتهم أنه زور براهينه عن النشوء والارتقاء (ولكن وكما هـــو معتاد من المقتطف لتثبيت حياديتها، فعندما عرضت ترجمة لحياة ارنست هكل عـــدد

13 - ليفين، ز. ل.، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث، دار ابن خلدون، بيروت 1978، ص 254.
14 - المرجع السابق، ص 260.

شباط جزء 2 مجلد 36 (1910م) حاولت أن تنفي هذه التهمة عنه). كما تورد أيضاً أسماء لهكسلي ولامارك، ولنظرية التحول الفجائي (Mutation) لدى فربس ثم تأكيدات فليسمان على "نظرية الصفات المكتسبة لا تورث". ولا تنسى المقتطف صموئيل بطلر نقيض فيسمان. ومن خلال هذه الأسماء ندرك أن المقتطف لم تحاول أن تسوق فكرة علمية خاصة لهذا العالم أو ذاك بمقدار ما حاولت أن تنقل النقاش العلمي الدائر في الغرب حول النشوء والارتقاء إلى الساحة الثقافية العربية، لاعتقادها بأهمية هذا النقل وضرورته في الدفع باتجاه التقدم العلمي والثقافي في الوطن العربي.

ولم تتوقف المقتطف عند عرض حياة العلماء وأفكارهم في مجال علم الأحياء ولكنها أيضاً عرضت أفكار فلاسفة ومفكرين تأثروا بأفكار النشوء والارتقاء كعالم الاجتماع والفيلسوف هربرت سبنسر المؤيد للنشوء والارتقاء والمؤيد للامارك، والذي حاول أن ينقل الفكرة من مجال التطور في علم الأحياء إلى مجال التطور في المجتمع الإنساني، ولقبته المقتطف ب"فريد العصر ووحيد الدهر شيخ الفلاسفة والباحثين ونابغة القدماء والمحدثين"[15].

كما تطرقت المقتطف إلى فكر نيتشه، وكان لسلامه موسى السبق في التعريف بفكر نيتشه في مقالته "نيتشه وابن الإنسان" إِذْ حاول أن يدافع عن أفكار نيتشه، ويقول للقارئ العربي: إنَّه من الضروري تحديد النسل في الأفراد العباقرة وذوي المؤهلات الخاصة!

2 -2 داروين والمذهب الداروينـي

"ذاع صيته حتى ملأ الآفاق وكبر اسمه حتى لقبوه نيوتن زمانه لأنه كان لعلم البيولوجيا (النبات والحيوان) بمنزلة نيوتن لعلم الفلك "،"فقيمة داروين أعظم من أن

15- المقتطف، 29(ج1)، يناير 1904.

تقدر"[16] هكذا قدمت لنا المقتطف تشارلز داروين، وينبع تقدير المقتطف لداروين من كونه أبا فكرة النشوء والارتقاء، التي أخذت تنتشر أكثر فأكثر في الأوساط العلمية وغير العلمية والتي بدأت تنتشر بين العلماء خلال مدة قصيرة وذلك من خلال معترفين قلائل بها مثل ولس وهكل. ويستمر التعظيم لدارون في المقتطف عبر تاريخها حتى تؤكد مرة أخرى عام 1909 أنّ (داروين) "في تاريخ المعارف ثاني أرسطو طاليس الفيلسوف اليوناني"[17].

وترى المقتطف أن السبب الرئيسي في عدم انتشار النشوء والارتقاء منذ البداية هو زعم بعضهم أن مذهب داروين "ينقض أركان الدين ويشيد دعائم الكفر والظلال". ولكن بعد ترسخه عند العلماء صار "كثيرون من علماء الأديان والإلهيات لا يرون فيه نقضاً للدين ولا ضلالاً عن حجة الرشاد"[18]. وفي رأي المقتطف فإن نظرية النشوء والارتقاء ناموس من نواميس الله كالجاذبية والألفة الكيماوية فما يبرهن عليه علمياً يجب أن يؤخذ به في الشرع، وتستشهد المقتطف بقول الإمام الغزالي "أن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية ولا تبقى معها ريبة فيمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها ... إذا قيل له : إنَّ هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وإنما يستريب في الشرع"[19].

يقوم المذهب الداروينى، كما تقدمه لنا المقتطف، على قانون الانتخاب الطبيعي (أي أن الطبيعة تنتخب الأصلح للبقاء إما عن طريق الانتخاب الجنسي وإما عن طريق صراع البقاء)، ويقسم لذلك المذهب الداروينى إلى:

16- 7(ج1)، حزيران 1882، ص 2.
17- 35 (ج2)، آب 1909، ص723.
18- 7(ج1)، حزيران 1882،، ص 3.
19- 35(ج2)، آب 1909، ص722.

1- القانون الأول: وهو أن الإنسان والحيوان والنبات من أصل واحد قام بالتسلسل والتطور عبر ملايين السنين ليصل إلى هذا التنوع.

2- النقلات الأساسية في الطبيعة هي :

أ) الانتقال من الجماد إلى النبات: وأثبت ذلك بتحليل مادة البلازما أو البروتوبلازم إلى مركباتها الأولية التي وجد أنها مركبات كيماوية .

ب) الانتقال من النبات إلى الحيوان: وهذه المرحلة لها أدلة ما زالت حية إلى الآن، من مثل إسفنج البحر وأنواع النبات المفترسة.

ج) الانتقال من الحيوان إلى الإنسان: ويعدُّ داروين أن الإنسان والقرد منحدران من الأصول المنقرضة نفسها رغم عدم تمكننا إلى الآن من تبيان هذه الحقيقة أثرياً ولكن مجموع الجماجم التي وجدت تبرهن على وجود تشابه أكبر بينهما كلما عدنا إلى العصور الغابرة، أما تلك الحلقات المفقودة فلا بد أن يثبت مصيرها مع تطور العلم .

3- إثباتات التشابه الأساسية بين الكائنات الحية:

أ) تشابه العائلات الحيوانية وعدم المقدرة على التمييز في بعض الأنواع بين جنس حيواني وآخر نتيجة لوقوع الحالة بين نوعين أساسيين.

ب) القدرة على التزاوج بين نوعين من الحيوانات وإنتاج ثالث (كالبغل).

ج) التشابه في الهياكل العظمية وفي عدد العظام وعملها وموقعها.

فلنوظف بعض النصوص لتوضيح الأفكار السابقة :

- الحلقات المفقودة : " فعدم وجود الحلقات التي تربط الأنواع معاً لا ينقض قولنا لأن دفائن هذه الحلقات يمكن أن تكون قد تحاثت وزالت ولم يبق منها إلا القليل فلم

يعرف بعد، بل إنّا كشفنا بعض الحلقات فقد وجدنا في أمريكا حيواناً هيكله هيكل طير ولكن له فكان وأسنان كالزحافات فهو حلقة بين الطير والزحافات."[20]

- "والذي يمكن النظر فيه – الخلق – يرى أن الأنواع التي عاشت في أزمان متقاربة تتشابه مشابهة أتم من مشابهة الحيوانات التي عاشت في أزمان متباعدة."[21]
- تؤيد المقتطف د. فسك بتسع قضايا مبرهنة عند داروين هي:

"1) إن الأجسام الحية يموت منها (بالعوارض) أكثر مما يعيش. 2) لا حيين يتشابهان تمام التشابه. 3) إن الخصائص التي يمتاز بها الأفراد قابلة للانتقال منها إلى أولادها. 4) إن الأفراد الذين تكون خصائصهم أتم موافقة من خصائص غيرهم للظروف والأحوال التي هي فيها هي التي تعيش وتخلف خصائصها لنسلها. 5) إن معيشة الأجسام الحية التي هي أتم من غيرها موافقة للظروف تؤول إلى حفظ الموازنة بين تلك الأجسام الحية وظروفها. 6) وظروف كل الأجسام الحية متغيرة على الدوام ولكن تغيراً بطيئاً جداً 7) طبائع الأجسام الحية إذن تتغير (حفظاً للموازنة) ولا تبيد. 8) والتغيرات التي تحدث بسبب ذلك في الأفراد تزداد تشوشا واختلاطاً بموجب ناموس آخر وهو أنه إذا حصل اختلاف في جانب من الجسم أحدث اختلافات متنوعة في بقية الجوانب. 9) وهذه التغيرات تزداد تشوشاً على تشوش واختلاطاً على اختلاط بموجب ناموس آخر هو أن كل عضو أو بناء في الجسم الذي يتغذى بقدر ما يستعمل."[22]

ثم هناك نتيجة مهمة هي أن التغيرات في الأجسام الحية تؤدي إلى تغير الأوصاف الخاصة بالنوع، وهذا يستلزم فرضاً ضرورياً بأن المادة الأولى للحياة وجدت منذ زمن طويل جداً واستغرقت هذا الزمن كله للتطور والتغير.

20- مجلد 7، ج 2، ص 70.
21- المرجع السابق، ص 63.
22- مجلد 7، ج 3، ص 134 – 135.

وبعد تأكيد هذه الخصائص الأساسية لنظرية النشوء والارتقاء ترد المقتطف على منتقدي النظرية والمذهب الداروينى بتأكيدها أن كثير من المعارضين للفكرة يعارضونها انطلاقاً من فهم ناقص لها. فتهزأ لذلك، على سبيل المثال، من قول جمال الدين الأفغاني في معرض نقده للنظرية التي يدعي فيها أن النظرية تقول: إنَّ البرغوث يصبح فيلاً والعكس بالعكس، فترد المقتطف بقولها: "إن هذا المذهب يقتضي اشتقاق الفيل والبرغوث من أصل واحد ليس بأن يصير البرغوث ضفدعاً"... "بل بأن يكون جدهما الأول واحد ثم يجيء الواحد من شعبة والآخر من شعبة أخرى على تمادي الأزمان ".[23] وبهذا فهي توضح بأن القضية في النشوء والارتقاء ليست تحولاً عشوائياً بين صنف من أصناف الحياة إلى صنف آخر ولكن هو انتقال مدروس بترابط علمي بين الأنواع.

وتؤكد المقتطف أن منتقدي الارتقاء لا يعتمدون على العلم عند نقاشهم للنظرية: "فإن المذهب مذهب طبيعي والأدلة المقبولة على صحته أو فساده هي طبيعية أيضاً، ولذلك لا يعبأ بنقض أحد له إلا بالدليل الطبيعي"[24]، ومن ثمَّ فمن المهم عند النقاش في المسائل العلمية أن تكون الأدلة علمية لا أن تكون الأدلة روحانية أو دينية. والدليل العلمي يعتمد على التعامل مع المستوى الطبيعي للكون، لا المستوى الميتافيزيقي. وهنا ندرك أن المقتطف تحاول أن تثبت في الذهنية العربية ما كان قد تم الاتفاق عليه في الفكر والذهنية الغربية بأن تفسير الظواهر الطبيعية في المستوى الطبيعي يجب أن يكون من ضمن المستوى الطبيعي عينه. (قدم هذا الموقف في الفكر الغربي الفيلسوف الألماني إمانويل كانط وقد تم الاتفاق عليه من قبل المفكرين كلّهم على مختلف اتجاهاتهم الفكرية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.)

23- المرجع السابق، ص 125.

24- مجلد 10، ج 7.

وترد المقتطف، أيضاً على من أسمتهم "طغمة الجزويت" - وهم عبارة عن مجموعة من المفكرين ورجال الدين المسيحيين، الذين حاولوا دائماً أن ينتقدوا المقتطف ومواقفها العلمانية واشتد انتقادهم لها مع عرضها ودفاعها عن المذهب الداروينى. – مستخدمة التعامل الديني في أوروبا ومواقف بعض رجال الدين الأوروبيين من النشوء والارتقاء كأساس للرد على الجزويت. وتركز المقتطف على فصل الدين عن العلم فتقول : " فكما أن المسائل الفقهية لا تحل بالبراهين الهندسية ولا القضايا الفلكية بالقواعد النحوية وهكذا مذهب داروين لا ينقض بالبراهين اللاهوتية ولا بالأقيسة الشعرية."[25] وتكمل موقفها بتقديم عرض تاريخي مقتضب يبين أن أي حقيقة علمية عند بدء ظهورها يعارضها الناس ولكن مع استمرار الوقت يبدؤون بتأييدها، وهذا ما حدث مع النشوء والارتقاء فخلال عشرين عاماً تحولت من نظرية لا يعترف بها إلى نظرية يقر بها كثير من العلماء.

2 – 3 الصراع بين الماديين والروحيين

إن أكبر جدل حصل حول فكرة التطور في مصر والوطن العربي كان على مدى تأييد هذا المذهب للفكر المادي، وإن كان هذا المذهب يتنافى أو لا يتنافى مع الفكرة الدينية، وهذا ما دار من جدل بين لويس وجيمس انس حيث يؤكد الأول أن النشوء والارتقاء مؤيد للفكر المادي وداعم في اتجاه النظرة المادية للكون، إذْ إنَّ النبات والحيوان من أصل مادي إذا حللناهم إلى مركباتهم كما يكون الأمر للماء المكون من هيدروجين وأكسجين. في حين يعدُّ جيمس انس أن فكرة التطور لا تنافي فكرة الخالق إذ من الأعظم أن يكون الله هو واضع لناموس التطور كما هو واضع لناموس الجاذبية، ويورد تأكيدات وشواهد من رجال دين مسيحيين أن هذا المبدأ لا يتنافى مع

25 - المرجع السابق.

الدين. أما يوسف الحايك فيؤكد ضرورة النظر إلى الأمور ببعد مـــادي إذا أردنـــا أن نتناول موضوعة النشوء والارتقاء.

ونتيجة للصراع القائم بين الماديين برئاسة شـــبلي شـــميل والـــروحيين أخـــذت المقتطف تحاول أن تقرب وجهات النظر وتقدم موقفاً لا يخلق عداءً واضـــحاً مـــع أي من الموقفين، ولذلك فنجد أن مواقف المقتطف كانت في جوهرها متلائمة مع موقـــف هربرت سبنسر من هذه النقطة، ونقصد تحديداً الموقف اللا –أدري (أي الموقف الذي يعلق الحكم على القضية انطلاقاً من عدم وجود أدلـــة كافيـــة للحكـــم بـــصحة أحـــد الموقفين). وهذه المحاولات تبلورت عبر مقال " الحياة والماديون والروحيون" حيـــث عرضت المقتطف آراء الماديين والمثاليين عبر التاريخ. كما سعت إلـــى توضـــيح أن الطب اعتمد على هذه النظريات الفلسفية مثل (جالينوس). إلى أن تصل في عرضـــها لمواقف الماديين والروحيين المحدثين: وما يذهب إليه الماديون من تأكيد للمادة كأصل للحياة، في حين يذهب الروحيون إلى أن لا إمكانية لوجود الحياة دون الروح. لتـــصل في النهاية إلى خلاصة بأن "رأي الماديين في الحياة لا ينافي إيمان المؤمنين ولا يضرّ بحقيقة الدين". وهذا الموقف اللا-أدري الذي تبنته المقتطف لم يسعفها في تعاطيها مع جمهورها. فعلى الرغم من محاولة المقتطف أن تقدم نفسها كمجلة حياديـــة تعـــرض لوجهات النظر المتناقضة بحيادية تامة، إلا أنها عادت، لتنسجم مـــع الفكـــر الـــسائد، لتقول: إنَّ نظرية النشوء والارتقاء تؤكد أكثر فأكثر قوة الباري[26]. وانطلاقاً من هـــذا الموقف فإن المقتطف تأخذ على رجال الدين اتهامهم لها بأنها من المعطلين، فتقـــول في مقالة أخرى ("عالم الأحياء"): "والظاهر أن بعض رجال الدين يـــزعم أننـــا مـــن المعطلين أو اللا-أدريين لأننا لا نكثر من نشر المقالات الدينية أو لأننا لا نبدأ مقالاتنا بالبسملة والحمدلة ولا نختمها بقولنا والله أعلم". "فلماذا يطلب ممن يكتب في الصرف"

26- مجلد 37، ج6، ديسمبر 1910.

"والكيمياء والحيوان والنبات ونحو ذلك، أن يمزج المباحث العلمية بالمباحث الدينية أو يؤكد عبارات دينية تقال غالباً جرياً على العادة من غير أن يقصد معناهـا؟" "فإقامـة الأدلة على وجود الخالق ونفع التدين من المباحث الفلسفية والاجتماعية التي يعنى بها المقتطف كما يعنى بغيرها من المباحث المفيدة"[27]. وبهذا تنفي المقتطف كثيـراً مـن الاتهامات التي وجهت وتوجه لها من أعدائها الدينيين المتشددين دون إدراك علمـي. أما عن سماح المقتطف للماديين بنشر آرائهم ومعتقداتهم فيها فهذا نابع من قناعتها بأن الحوار العلمي لا يتنافى مع الدين ولا يمكن أن يضر بالدين والمعتقدات الدينية.

3 البعد العلمي والنشوء والارتقاء عند المقتطف:

لم تتحيز المقتطف في عرضها للمواقف العلمية لفكرة دون أخرى مـن الأفكـار التي تعرض للنشوء والارتقاء، فهي تعرض لكل من فريس وبطلر وهكـل وهكـسلي وسبنسر وبخنر وولس وغيرهم دون أن تعدُّ أن في ذلك إضـعافاً لموقفهـا العلمـي والفلسفي من نظرية النشوء والارتقاء، لذلك نجد أن موضوعاتها من التنوع بمكان.

3 – 1 التولد ونظرياته:

هناك نظريتان أساسيتان للتولد هما :

1- **التولد الذاتي**: وهي النظرية التي يعتمد عليها المـاديون فـي توضـيح أن الطبيعة هي، نتيجة لمجموعة من الظروف الملائمة، التي أنتجت الحويـصلة الأولـى (الخلية الأولى) وأصحاب هذا الرأي استمروا على إصرارهم على رأيهم على الـرغم من اكتشاف باستور الذي أكد عدم إمكانية تولد الحـي مـن اللاحـي معتبـرين أن: "الميكروبات أنواع مرتقية قد مرت عليها السنون الطوال حتى وصلت إلى هذه الدرجة من الترقي فلا تحصل اليوم الجماد رأساً". "ومن المألوف أن المادة الأصلية" المـسماة

27 - مجلد 38، ج 3، آذار 1911.

البروتوبلاسما تتكون اليوم في بعض أنحاء الأرض رأساً من الجماد ضمن شروط لـم يكتشفها العلماء بعد كما أنهم لم يكشفوا كثيراً من الأحوال الطبيعيـة".[28] وتقـدم لنـا المقتطف الجدل الدائر في الغرب حول هذه الفكرة فتعرض لموقف بطلر الذي حـاول نفي أطروحة لويس باستور من خلال تصنيع أجسام حية سـماها راديوبـات، تنمـو وتنقسم. إن هذه التجربة وغيرها من التجارب في القرن التاسع عشر لم تلـق العنايـة العلمية الجيدة، وذلك لأنه من الصعب جداً ضمن الظروف الموصوفة فيها، أن تتكون حياة من أي شكل إلا إذا كانت منتقلة عبر الهواء أو مؤثرات خارجية أخـرى، لأننـا نعلم أن أول محاولة تكللت بالنجاح كانت عام 1959 التي تطبق تجريبياً فكرة العالمين اوبارين وهولدن حول كيفية نشوء أول خلية حية يمكنها التكاثر. ولكن على الرغم من قلة المعلومات وشحها، استمر مؤيدو هذا المذهب في بلورة فكـرتهم عـن النـشوء التلقائي ولكن ليس كما قال به لامارك وإنما بشكل علمي يقرب إلى الـصحة، فنـرى المقتطف تورد نصاً آخر لداعمي موقف النشوء التلقائي تقول فيه "مع ذلك كلـه فمـن العبث أن نجزم بأنه لا يمكننا مبدئياً عمل أدنى شكل من أشكال الأحياء في عالمنـا إذ ربما أمكننا ذلك بعد تجارب طويلة تكون غايتها الحصول أولاً على أحياء لها خاصـة واحدة أو خصائص قليلة من خصائص الأحياء السابقة الذكر ثم التدرج في ذلك إلـى الآخر".[29] وهذا ما حدث فعلاً بعد ذلك بخمسين سنة تقريباً.

2- **فكرة الخلق**: وهي الفكرة التي تؤكد أن الحياة علـى الأرض كـان مـصدرها الخالق. وهي الموقف الأساسي لأصحاب المقتطف فهم يؤيدونه ضـد مبـدأ الخلـق التلقائي إذ حسب رأي يعقوب صروف "إننا لا نتمكن من عمل أحياء اصطناعية تكون مثل الأحياء الطبيعية، إذ وجه الأرجحية فيه الحصول على الشروط اللازمـة لـذلك

28 - مجلد 20، ج12، كانون الثاني 19=896، ص 900.

29 - مجلد 31، ج 8، آب 1906، ص 659.

ضعيف إلى ما لا حد له. وجهد ما نؤمله تقليد تلك الأحياء تقليداً قريباً جداً من غير أن نضع مثلها".[30]

وحسب نظرية باستور في "أن الحي لا يتولد إلا من الحي" تكون هذه النظرة إلى النشوء مدعومة أكثر علمياً وتجريبياً، ولكن على المستوى العملي، فهذا أمر مشكوك فيه إلا من حيث القناعة الفكرية فقط. وكما أن هذه الفكرة تنسجم أكثر مع من يؤمن بالدعوة الدينية. ففي الحالة الأولى من الممكن أن لا يكون عمل الخالق إلا كمحرك أرسطو الأول الذي لا يتحرك ودوره للابتداء دون أن يكون له شأن بما بعد ذلك. أما الحالة الأخرى فتكون أقرب إلى فكرة الخلق الدينية في أن الله هو الذي يعطي الجماد إمكانية الحياة. "وعليه فالحياة تركب في القوى الطبيعية على حالة ربما لم يكن لها اليوم ذلك رأساً، كما أن حال الأرض قد اختلفت في الحاضر عن أحوالها أول نشأتها فالحياة اليوم لا تظهر إلا بعد الاقتباس من حياة أخرى أولاً، كما أن الشمعة لا تشتعل من نفسها بل تستدعي اشتعالاً آخر يحصل حرارة كافية لحصول اشتعالها."[31]

ولكن على الرغم من موقف المقتطف المعلن في هذه القضية فإنها تبقى حريصة على أن تلتزم الموقف المحايد في النقاش بحيث تقدم لجميع الأفكار المرتبطة بالقضية محور الخلاف. فنجدها في مقال آخر تساوي بين فكرة النشوء التلقائي وبين فكرة خلق الخالق وتقول: إنه ليس " ثمة سبب علمي يمنع توليد الحي من غير الحي فإن القاعدة الشهيرة عند العلماء وهي أن الحي لا يتولد إلا من الحي مبنية على أنَّه لم يشاهد تولد الحي من غير الحي"[32]. ثم تكمل لتؤكد فكرتها فتقول: "لكن معظمنا يوافق هكسلي على قوله: إنَّه لو أمكننا الرجوع إلى الزمن الذي كانت الأرض فيه طفلة"" لرأينا تولد

30 - المرجع السابق، ص 659.

31 - مجلد 20، ج 12، كانون الأول 1896، ص 905.

32 - مجلد 30، ج 6، حزيران 1905، ص 436.

البروتوبلازم أساس الحياة الطبيعية من المادة الجامدة وهذه خطوة طبيعية في نـــاموس النشوء والارتقاء ولكنها أصعب الخطى والاعتقاد بها إنما هو مجرد اعتقاد فلسفي".[33]

3 – 2 النبات

عند النظر إلى النبات على أنه بين الجماد والأحياء، نستطيع عَدَّهُ أول حلقه مـــن الحلقات المهمة في نظرة النشوء والارتقاء، لذلك فقد تم الاهتمام بدراسة النبات علـــى الدرجة نفسها مع الحيوان والإنسان.

فقد حاولت المقتطف أن توظف كل المكتشفات التي عرفت فـــي القـــرن التاســـع عشر لصالح نظرية النشوء والارتقاء، فنراها ولكي تجد حلقـــة ربـــط بـــين الأحيـــاء والجماد تورد تجربة لعالم هندي (بوز) عن مدى تأثر المعادن بالكهربـــاء، إذْ يـــصف خلالها كيف تتحرك جزيئات المعادن بتأثير الكهرباء إلى أن تستقر فـــي حالـــة مـــن الممكن معها للمعدن أن ينقل التيار الكهربائي، وحسب القاعدة التي يقـــدمها فـــإن أي جسم يتحرك هو جسم حي (تحت تأثير الكهرباء)، ومن ثمَّ فللمعادن شعور كالأحيـــاء. وما تقديم هذه الفكرة إلا محاولة لحل واحدة من أهم معضلات نظرية التطور.[34] وفي موضع آخر يحاول يعقوب صروف أن يوظف علمه بالكيمياء من أجل إيجـــاد هـــذه الحلقة فيصف في مقالة بعنوان "جوامد كالنبات" التجارب التي كـــانوا يقومـــون بهـــا، وكيف أنهم في إحدى المرات نسوا مواد كيماوية لمدة أيام فعادوا إليها فإذ بهـــا تـــشبه النباتات في هيكلها وشكلها، ويقول في نهاية المقال: "وكل يوم تكشف أمور جديدة تدل على وحدة الخلق ووحدة القوى ولكن هل يكشف سر الحياة أخيراً أو لا يكـــشف هـــذه مسألة المستقبل كفيل بحلها." وغاية الفرق بين صنع السكر وصنع الحيـــاة عنـــده أن

33 - المرجع السابق، ص 436.

34 - مجلد 27، ج 11، تشرين الثاني، 1902، ص ص 1023 – 1038.

الثانية أعقد من الأولى لذلك "يتعذر تكوينها ما لم تمر على الأطوار التي مرت عليها أسلافها وما لم يمر عليها من الزمن ما يكفي لذلك"[35].

وفي عرضها للموضوعات تحاول المقتطف أن توازي في الاعتبار بين "تأثر النبات مما يحيط به"[36] وفكرة الانتخاب الطبيعي[37]، وتورد المقتطف الإثباتات على أن تتابع الحياة على الأرض كان من الأبسط إلى الأكثر تعقيداً ومن ثمَّ فالنباتات التي تكونت في الطور الأول للأرض كانت بسيطة (أعشاب وطفيليات) ثم بدأ الاختلاف والتعقيد مع الأطوار الأعلى إلى أن وصلت قمة التطور بالإنسان والحيوانات التي تعيش معه في الآونة نفسها[38]. وبعد أن رسخت المقتطف فكرة التطور في النبات بأن نشرت مقالات لبعض الكتاب مثل أنيس الخوري ومقالته "تشوء الحيوان والنبات"[39] وغيرها من الموضوعات، وتعرضت لبعض المسائل الغريبة التي تؤكد تكيف النباتات مع الطبيعة بحيث لا يعيش في أي مكان إلا أنواع النباتات الملائم له[40]، أخذت تقدم بعض التطبيقات العملية لفكرة التطور فأوردت مقالة لنصيف الجندي عن "مذهب النشوء والتسلسل وتطبيقه على تحسين الزراعة"[41] يعرض فيه للوسائل الممكن استغلالها في حال تطبيق نظريات النشوء والارتقاء على النباتات ومناطقها.

ثم تنتقل المقتطف إلى تحديد الصلة بين النبات والحيوان: "إذا صح ما يقوله بعض العلماء من أن النبات يشارك الحيوان في الحس كما يشاركه في الحياة فليس

35 - مجلد 34، ج 6، حزيران 1909، ص 651.
36 - مجلد 37، ج 3، أيلول 1910.
37 - مجلد 33، ج 10، تشرين الأول 1908.
38 - مجلد 8، ج 1 &2، حزيران – تموز 1883.
39 - مجلد 34، ج 6، حزيران 1909.
40 - مجلد 30، ج 10، أكتوبر 1905.
41 - مجلد 39، ج 2، آب 1911.

بدعاً أن يفتق الحيل مثله ويخلق الوسائل المتعددة لصيانة حياته والدفاع عن كيانه، ويعمد إلى أمور يشتم منها رائحة الفهم والاستدلال وهي أفعال طبيعية محضة لحفظ نوعه"[42].

3 -3 بين الحيوان والنبات

تعدُّ هذه الحلقة معروفة لدى العلماء إذ وجد من بين الأحياء التي تعيش اليوم أنواع من النباتات التي تفترس الحشرات وأنواع من الحيوانات التي تتغذى من خلال جذور كما في حيوان (خيار البحر) وهذا الموضوع أو لنقل هذه الحلقة أولتها المقتطف اهتماماً ، إذ كان الاعتقاد "أن بين الحيوان والنبات حداً فاصلاً من هذا القبيل لا يتعداه الحيوان فيستقر ويتغذى من الجماد ولا يتعداه النبات فيسعى ويفترس الحيوان"[43]، تورد المقتطف أدلة وبيانات عن الحيوانات والنباتات الخليط لتعود بعدها سنتين لتورد مقالاً عن "تعاون النبات والحيوان"[44] تذكر فيه مرة أخرى الاختلاط بين الحيوانات والنباتات، وخصائص اعتماد كل منهما على الآخر.

3 – 4 الحيوان

تتسم موضوعات المقتطف التي تتعلق بالحيوانات بمحاولة المجلة تقريب فكرة ارتقاء الإنسان من حيوانات أدنى منه إلى جمهور القراء. وقد تمحورت الموضوعات:

1) إدراك الحيوان: " مسألة العقل في الحيوان الأعجم من المسائل المعضلة التي تناظر فيها العلماء وقلبوها على وجوه عدة ولم يجمعوا على حل مرضٍ لها. وغاية ما يتوخاه طلاب الحقائق الآن جمع الحوادث التي تظهر نباهة العجماوات والتثبت فيها

42- مجلد 30، ج 7، يوليو 1905، ص 556.
43 - مجلد 26، ج 1، كانون الثاني 1901.
44 - مجلد 28، ج 6، حزيران 1903.

وتمحيصها من غواني الأوهام"45، مما يعجب أن تقوم به الحيوانات من غير إدراك وبمجرد امتلاكها لغريزة ما. وتحاول المقتطف من خلال هذه المقالات الرد على من يقول: إنَّ الحيوان الأعجم لا يدرك شيئاً إذ إنّه "ليس كل العجماوات على حد سوى من هذا القبيل (حتى) ولو كانت من نوع واحد"[46].

وتحدد المقتطف الفرق بين إدراك الإنسان وإدراك الحيوان في أنه ينحصر "في تعدد الصوّر التي تنطبع في الذهن قبل الإدراك أي أن تصور الحيوانات العليا مثل تصور الإنسان في كيفيته وإن يكن دونه في كميته". وأمَّا ما يميز الإنسان عن الحيوان الأعجم فهو "قوة البداهة أو تحليل الأشياء وعلامتها النطق"[47]. ولكن تتدارك المقتطف رأيها في إدراك الحيوان والإنسان فتقول: إنَّ مثل هذا التصور "لا يمكن القبول به لأن تصور الإنسان مركب من الاستدلال والحكم والمقابلة. أما الحيوان فإن وجد أنه لا يتسلط على سلسلة التصورات التي يحدثها في ذهنه. فهو يعيش في الحاضر ولا يستطيع أن يحضر الماضي في مخيلته ولا أن ينظر المستقبل"[48]. ومن ثمَّ فالوجدان الإنساني هو الذي يحدد الاختلاف مع الحيوان لأنه يستطيع إدراك الماضي والحاضر لاستجلاء المستقبل منهما.

2) ألعاب الحيوان وحيلها: تنقسم في لعبها إلى : أ) مجرد اللهو والتسلية كالسنجاب وفرس الماء والفيل وغيرها من الحيوانات التي تأتي على حركات تقضي بها نهارها، ب) بعض التصرفات التي تقوم بعملية أذى الناس كما يحدث في عادة الغراب والعقعق لسرقة الأشياء وإخفائها، ج) بعض الألعاب التي تقوم في مقام الدفاع عن النفس أو اقتناءً للغذاء كما تفعل القردة، د) وقد يراد بأنواع الألعاب

45 - مجلد 17، ج 3، كانون الأول 1982، ص 179.

46 - مجلد 24، ج 1، كانون الثاني 1900، ص 19.

47 - مجلد 31، ج 2 ، شباط 1906، ص 139.

48 -المرجع السابق، ص 134.

جذب الجنس الآخر[49]. أمَّا عن حيل الحيوان فهي تختلف من حيل شبه إدراكية كما في الثعلب للحصول على غذائه[50] أو غريزية كما في الحشرات التي تحاول أن تقلد حيوانات شبيهة لكي تدفع الخطر عن نفسها من العدو[51].

3)طبائع الحيوان : إن تعرّف طبائع الحيوان تدفع إلى "الاعتراف لـه بكثيـر مـن الأخلاق والطباع التي جعلها الإنسان محوراً لحضارته واعتمد عليه في ارتقائه"[52]. بهذه الروحية تعرض المقتطف لطبائع الحيوانات حيث تبدأ في سنتها السابعة بتقديم "طبائع القرود" وتعرض في مجموعة المقالات هذه أنواع القرود الشبيهة بالإنـسان كالغوريلا والجابون والشمبنزي والارن فتقارن بينها وبين الإنـسان فـي الـشكل والتصرفات، والشمبنزي، مثلاً، يبنـي أكواخـاً كالإنـسان؛ والارن (أو الإنـسان الوحشي) دماغه كدماغ الإنسان في تلافيفه وحجمه. وما ترمي إلى الوصول إليـه هو القول: إنَّ "المشابهة تكاد تكون تامة بين القرد والإنسان"، ولكن وعلى الـرغم من هذا التشابه "يبقى الإنسان فوق القرود بما لا يقـدر لأنـه يخالفهـا بانتـصابه وبسهولة حركة يديه وعدم استخدامها للمشي وبكبر إبهامه ووضعه وكبر دماغه"[53]. وتحدد المقتطف طبائع الحيوان بأنها غرائز ولكن ليس بمجملها، وإنما من الممكـن أن يكتسب الحيوان طبائع نتيجة للتعلم أو نتيجة لتغير الظروف التي يعيشها. فـإذا تكررت هذه الأسباب أصبحت جزءاً من الغريزة "لأن الغرائز نمت في الحيوانـات وتنوعت ورسخت بواسطة الوراثة والانتخاب الطبيعي اللذين هما ناموسـان مـن نواميس هذا الكون"[54].

49 - مجلد 31، ج 10، تشرين الأول ، ص 1906، ص 801 – 805.
50 - المرجع السابق، ص 805.
51 - مجلد 31، ج 4 ، نيسان 1906، ص 287 – 288.
52 - مجلد 16، ج 5، شباط 1892، ص 306.
53 - مجلد 7، ج 1 &2، حزيران وتموز 1882، ص 94.
54 - مجلد 9، ج 8، حزيران 1885، ص 518.

وهذا عملياً ما تحاول المقتطف أن توظفه من خلال مقالاتها عن طبائع الحيوان ففي مقالتها "أسرار الحيوان وطبائعها"[55] تعرض الحالات التي تولد فيها الحيوانات، وكيف اكتسبت هذه الصفات من الطبيعة التي هي أكبر معلم وقدوة. وتعرض تأثير الطبيعة في الحيوانات في المناطق الثلجية حيث تضطر للمبيت الشتوي ومن ثمَّ للصوم ("صوم الحيوان"[56]).

كما أن المقتطف تعدُّ أنَّ الألم هو الذي يحدد رقي الحيوان من عدم رقيّه، فكلما تألم الحيوان أكثر كان أقرب إلى الإنسان. ولكن في المحصلة العامة فإن ظواهر الألم في الحيوان قليلة جداً، ولو أنها تتألم كثيراً لأصبحت الدنيا دار آلام[57].

4)تعاون الحيوان : وهو نوع من التكامل الطبيعي تقدم فيه الحيوانات القادرة المعونة لغيرها من الحيوانات. وتعدُّ المقتطف التعاون بين الحيوانات شريعة عامة كالتنازع[58]. وهذا التعاون بين الحيوانات يؤدي إلى التقليل من صراع البقاء للحيوانات. ولذلك فصراع البقاء ليس العامل الوحيد للتطور "الجهاد ليس الفاعل الوحيد في حفظ الأنواع وتغييرها بل هناك فواعل أخرى كمناسبة الأحوال والانتخاب الطبيعي والجنسي. ومع ذلك لا ينكر أن لتعاون الحيوان اليد الطولى في حفظ أنواعه وإنه كثيراً ما يتجنب الجهاد والمزاحمة من تلقاء نفسه"[59]. ولهذه الأسباب أولت المقتطف أهمية مستقلة لتعاون الحيوان فحتى توضح الأشكال الكاملة للتطور يجب أن تشرح كيفية هذه التغيرات بكل مداخلاتها وتعود المقتطف في (المجلد 27، 1902) إلى دلالات أخرى عن موضوع تعاون الحيوان[60].

55 - مجلد 22، ج 10، أكتوبر 1898.
56 - مجلد 29، ج 8، آب 1904.
57 - مجلد 14، ج 2، "الألم في الحيوان الأعجم"، تشرين الثاني 1889.
58 - مجلد 1، ج 1، أكتوبر 1980، ص 30.
59 - مجلد 15، ج 3، ديسمبر 1890، ص 169.
60 - مجلد 27، ج 11، تشرين الثاني 1902، ص 1095 – 1100.

5)لغة الحيوان: من المعروف أن بعض الحيوانات تستطيع أن تعطي أصواتاً منظمة يتوقع أنها لغة من نوع ما لا نعرفها، فنراها وعند سماع هذه الأصوات تقوم باستجابات معينة تكون نفسها حين تسمع الصوت نفسه وحتى لو لم يكن خارجاً من الحيوان (كأن يكون خارجاً من مسجل). ولذلك ففي بداية طرح فكرة النشوء والارتقاء سعى العلماء جاهدين في البحث عن مثل هذه الأصوات وربطها بالأحداث التي تقوم معها ليستطيعوا أن يحددوا لغة للحيوان، وعلى الأخص القرود والببغاء والكلاب. وهذا البحث وإن جزم بالنفي الآن لهذه الأنواع من الحيوانات إلا أن العلماء ما زالوا حتى يومنا هذا يحاولون فهم الإشارات التي تصدر عن النمل والنحل والدلفين والتي لا يمكن إلا أن تمثل نوعاً من أنواع التفاهم العالي[61].

وقد تكون هذه النقاط الخمس هي محور المجادلات حول الحيوان الأعجم وعلاقته بالإنسان التي كانت تقوم في ساحات الثقافة والفكر في مصر فنجد لها تلخيصاً مكثفاً في مقالة بعنوان "الحيوان الناطق والحيوان الأعجم" يرد فيها على أصحاب المهاترات المشاغبات، فيورد نقاشاً طريفاً بين فيلسوف وعالم يصل فيه إلى النتائج الآتية: "إن حكم الفيلسوف بخلو الحيوان الأعجم من الوجدان حكم بلا دليل والذي يراقب طبائع الحيوان الأعجم يحكم أنه يدرك وجوده حق الإدراك وما يترتب على ذلك الإدراك أيضاً"[62]. ولإثبات هذا التصور تورد المقتطف العديد من الشواهد كالقول بأن الحيوان غير ناقص الطبيعة الأدبية ودليل ذلك وفاء الكلب، والحيوان قادر على أن يتسلط على نفسه وأهوائه كالجمل يصبر على العطش، والحيوان يتسلط على الطبيعة كالطائر يبني بيوته في الأشجار العالية في الأماكن المظلمة، إِذْ إنَّ الغريزة

61 - "هل ينطق الحيوان الأعجم"، مجلد 11، ج 11، آب 1887،"كلام القرود"، مجلد 16، ج 1، كانون الثاني 1892، "لغة الكلاب والطيور"، مجلد 16، ج6، آذار 1892،"البحث عن لغة القرود"، مجلد 17، ج 3، ديسمبر 1892، "تعلم الحيوان"، مجلد 27، ج 9، سبتمبر 1902.

62 - مجلد 13، ج 2، تشرين الثاني 1888، ص 107.

عند فحصها من قبل العلماء "ثبت معهم بالتجربة والمشاهدة أن الحيوان قد يتعلم أفعالاً لم يكن يعلمها قبلاً ثم يورثها لأعقابه فيولد ولده وهو يعلمها بالغريزة بـــلا علـــم ولا كسب". "فلذلك وأمثاله ذهب العلماء إلى غريزيات العجماوات إنما هي أفعـــال فعلهـــا آباؤها بعد النظر وطول الاختبار ثم اتصلت إليها بالإرث ورسختها في فطرتها علـــى توالي الأعقاب فصارت تولد معها"[63].

وتعيد المقتطف تأثر الحيوان في المكان كما يتأثر النبـــات بـــه، وكيـــف يكيـــف الحيوان نفسه حسب الظروف التي تحيط به بما يضمن بقاءه واستمراره واحتماءه من هجمات الأعداء والكواسر، إِذْ إنَّ "للعلماء مباحث كثيرة تدل على أن الطعام والمكـــان يؤثران في ألوان الحيوان، وهم لا يزالون يبحثون في ذلك بحثاً وفيقـــاً مبنيـــاً علـــى التجربة والامتحان، وسيكشفون غوامض هذه المسألة ويوضحون أساليبها كما كـــشفوا كثيراً من أسرار الطبيعة"[64].

3 – 5 بين الحيوان والإنسان :

إن الفوارق الأساسية التي تميز الإنسان عن العجماوات هي 1) انتصاب قامتـــه 2) استخدامه ليديه حيث إن كثيرين حاولوا "أن يجعلوا اليد حداً فاصلاً بـــين الإنـــسان وغيره من الحيوانات"[65]. 3) الوجدان الذي يستطيع إدراك الماضي والحاضر استلهام المستقبل، 4) وجود العيون في الصدغ وليس في جوانب الرأس مما له أثر إيجابي في الإنسان، 5) اللغة وهي مجموع التراكمات الإنسانية من التفاهم بالأصوات والإشارات إلى تكوّن اللغات التي ارتبطت بتكون الحضارات، 6) الدماغ.

63 - المرجع السابق، ص 109. وتورد المقتطف الشواهد الكثيرة على النشوء والارتقاء في الحيوان من مثل موضوعاتها "عجائب المخلوقات، مجلد37، ج2، آب 1910، "كيف تولدت الطيور" مجلد 33، ج4، نيسان 1908.

64 - مجلد 17، ج 9، يونيو 1893، ص 597.

65 - مجلد 9، ج 9، حزيران 1885، ص 540.

أما ما يستفيده الإنسان من الحيوان فهو تعلمه منه بعض التنظيم الذي تعلمه من النمل والنحل، ثم إنَّه يستفيد منها بكثير من الأمور كاستخدامه في الفلاحة والغذاء واللباس وغيره كثير مما ينتفع الإنسان به[66].

كما أن الاختلافات بين الإنسان والحيوان هي اختلافات (في ما عدا التمايز السابق) في الدرجة وليس في الوظيفة والنوع، فأسنان الإنسان والحيوان تتشابه رغم اختلاف عددها من حيوان إلى آخر، وافتقادها كما في الطيور (إلا ذاك الطائر الذي بين الطيور والزواحف الذي له أسنان وفك) أو شكلها مختلف كما في كلب البحر[67]. أمَّا في الهيئة فإنَّ الإنسان المتوحش أقرب إلى الغوريلا منه إلى الإنسان المتحضر حيث الدماغ وتلافيفه، وتورد المقتطف صوراً وأحداثاً تبرهن على ذلك [68].

3 – 6 الإنسان قمة التطور[69]

تتفق المقتطف في أن الإنسان والحيوان من أصل واحد ولكن يبقى على صفحاتها النقاش دائراً كما هو دائر في الأوساط العلمية الأوروبية حول هل كان أصل الإنسان قرداً أم لا؟ تقرر المقتطف أن البحث عن أصل الإنسان من أهم المباحث العلمية، ولكن وحتى عام 1891 كانت تحاول أن تقف موقفاً غير منحاز إلى أي تصور عن أصل الإنسان، فتقدم مقالاً عن "أصل الإنسان" تقول فيه إنّه لم يثبت إلى الآن إمكانية تولّد الإنسان من القرود أو من حيوانات شبيهة، وذلك نتيجة لعدم وجود مستحثات تثبت ذلك. كما أن كل المحاولات التي قام بها العلماء لإثبات أصل واحد للإنسان

66 - "انتفاع الإنسان من الحيوان"، مجلد 22، ج 1، يناير 1898 وأيضاً "تعلم الإنسان من الحيوان" مجلد 30، ج 4، نيسان 1905.

67 - مجلد 19، ج6، يونيو 1895.

68 - مجلد 22، ج 5 أيار 1900.

69 - الاستعارة من عنوان كتاب لسلامة موسى.

باءت بالفشل، فإن لم يكن بمقدورنا أن نرد الأنواع المختلفة للجنس البشري (زنـــوج، وجنس أصفر) إلى أصل واحد فكيف نستطيع أن نرد الإنسان إلـــى القـــرود مـــثلاً؟[70] فتذهب المقتطف إلى أبعد من ذلك في عرض الاختلاف بين الإنسان والحيوان وتقـــول بأقوال بعض العلماء بعدم إمكانية تولد العاقل من غير العاقل، وتعرض في هذا السياق خطبة الدكتور ميلر عن "الانثروبولوجيا أو علم الإنسان" تحاول أن توصل إلى القارئ بعض النقاشات الطويلة حول أصل الإنسان. وتعرض الحقائق التي تؤكد وجهة نظـــر "بنصن" بأن الحد الفاصل بين الإنسان والحيوان هو اللغة، وتتفق معه في كيفية تقـــسيم البشر حسب هذا المقياس[71].

وبالمقابل فإن المقتطف لا تنأى بنفسها عن تقديم الحقائق العلمية في قرب الإنسان من الحيوان الأعجم، ففضلاً عمَّا أسلفنا من التشابه بـــين الحيـــوان والإنـــسان، فإنهـــا تعرض في مقالات أخرى إثباتات على هذا القرب. فمن مقالة "الشعر في الإنسان" التي بينت فيها أن الإنسان وهو في الوضع الجنيني في الشهرين الخامس والسادس يكـــون أشبه بالحيوان فيظهر الشعر على جسمه ما عدا الأطراف تماماً كما يحدث في الحيوان الأعجم. ثم تحدد المقالة شبه الإنسان بالحيوان من ناحية وجود بصلات الشعر علـــى كل الإنسان وإنْ كان هذا يتفاوت في قوّته من شخص إلى آخر ومـــن الرجـــل إلـــى المرأة، وتذهب المقتطف أن الأغلب في عدم وجود الشعر أن الإنسان قطن في مناطق حارة وهذا تحليل غير مؤكد. وأمَّا عن سبب ضعف شعر المرأة إلى درجـــة الزغـــب فهو ناتج حسب أقوال داروين عن الانتخاب الجنسي[72]. ثم تعلق المجلة في مقال آخـــر على "ذنب الإنسان" إذْ تؤكد أن العجز في الإنسان هو نوع من الذنب الضامر، "وجملة القول: إنَّ في جنين الإنسان ذنباً مثل أجنة الحيوانات العليا ولكنه يزول في الأســـابيع

70 - مجلد 15، ج 10، تموز 1891.

71 - مجلد 16، ج 2، تشرين الثاني 1891.

72 - مجلد 15، ج 9، حزيران 1891.

الأولى أي يندثر بعضه ويقضي نمو البعض الآخر فيضمر حتى يولد الجنين وليس فيه أثر ظاهر لهذا الذنب وقد لا يزول بالاندثار والضمور فيطول ويبقى مدى العمر، ولكن ذلك نادر على ما يظهر"[73].

وقد يوضح لنا الهامش الذي قدمته المقتطف كتعليق على مقالة "وانس" المترجمة من قبل أمين أبو خاطر كثيراً من الحقيقة حول موقف المقتطف من أصل الإنسان حيث تقول: "لكن هب أنه نجح في تجاربه" – تجاربه تفيد بإمكانية توليد الإنسان من خلال الاهتمام بالوراثة من أنواع معينة من القردة المشابهة للإنسان – "فنجاحه لا ينفي وجود الفرق الكبير بين الإنسان والحيوان الأعجم من حيث سمو العقل ولا يزيد المشابهة بينهما من حيث الجسم ولا ينفي وجود القدرة الخالقة التي تكوّن من التراب إنساناً كما تولد من الحيوان حيواناً آخر"[74].

وتبرز مقالة سلامة موسى "الحياة والموت" عام 1909 لتقول بأن وجود إثباتات علمية عن أصل الإنسان الحيواني والذي يتوقع سلامه موسى أنَّه ما من شك عند قراء المقتطف به، فيكتب عن الاكتشاف بأن دم الإنسان ودم القرد متشابهان في الرواسب[75].

وتبدأ المقتطف مع المجلد 38 أول عام 1911 سلسلة من المقالات عن أصل الإنسان ومنشئه لتفتح باب النقاش واسعاً في مصر والوطن العربي، وتقول المقتطف ومنذ البداية إنه عند النظر إلى أرقى الأنواع النباتية والحيوانية والتي توجد كلها في آسية سيشف أن أكثر تطور حدث في هذه المنطقة فلذلك، وحسب علم الأحافير، نجد أن "وطن الإنسان الأول كان أولاً في أواسط آسية وانه ظهر أولاً في الطبقة الوسطى

73 - مجلد 16، ج 12، أيلول 1892.

74 - مجلد 33، ج 7، تموز 1908، ص591.

75 - سلامة موسى، مجلد 35، ج 8، آب 1909، ص 727 – 729.

من الدور الثلاثي أو في الطبقة العليا. وإذا كانت العظام التي وجدت حديثاً في جاوي هي عظام حيوان من جنس الإنسان فقد وجدنا دليلاً قاطعاً على أن منشأ الإنسان في آسية"[76].

ولكن هذا الإصرار عند المقتطف لا يبقى طويلاً ففي المقالة اللاحقة تعود المقتطف إلى صيغة أن هناك رأيين في نشأة الإنسان الأول فكرة النشء المستقل (بأعجوبة إلهية) والثاني بناموس الارتقاء ولكنها تورد هذين القولين لتبرهن إحداهما فتقول في نهاية المقال "وكل مباحث الجيولوجيين والبيولوجيين تؤيد قدم الإنسان على وجه البسيطة وأنَّه قد مر عليه الآن ألوف كثيرة من السنين أو مدد متطاولة لا تقاس بالسنين لطولها، وذلك كله ينفي أن يكون الإنسان قد وجد على وجه البسيطة كامل النمو والارتقاء منذ ألوف قليلة من السنين إلا إذا خالفنا شهادة الحواس ونقضنا حقائق العلم"[77].

ويبرز التطور في وجهة نظر المقتطف جلياً بين موقفها غير المتيقن في عقدها الثاني وبين الموقف المؤكد في هذا المقال، فنراها عند هذه النقطة بالضبط تزيد من الموضوعات الداعمة لهذه الفكرة فنرى في الجزء الثالث من السنة نفسها (1911) مقالاً بقلم الياس غضيان يؤكد فيه اكتشافات حديثة تثبت أصل الإنسان الحيواني وبالذات ارتقاؤه من القرد[78].

وضمن العدد نفسه تؤكد المقتطف اعتراف العالم بانضمام الإنسان إلى ناموس الارتقاء العام بعد أن كان معدوداً حتى وقت كتابة المقال ذا نشأة مستقلة عن الحيوان والنبات فتقول "إن نواميس النشوء شاملة للإنسان مع غيره من أنواع الحيوان ولكنه

76 - مجلد 38، ج 1، كانون الثاني 1911، ص 54.
77 - مجلد 38، ج 4، شباط 1911، ص 145.
78 - مجلد 38، ج 3، آذار 1911، ص 226 – 229.

جعل إدارتها كلها في يد أرواح مخلوقة لذلك"[79]. تبقى هذه النزعة عند المقتطف نتيجة لقناعتها بالمذهب الحيوي كما سبق أن أثبتناه.

ولذلك فالإنسان يرتقي كما ترتقي باقي الحيوانات والكائنات الحية، وبرقّيه تزداد الفوارق بينه وبين الأقل ارتقاء. ففي "الألم"، مثلاً، نستطيع أن نلاحظ أن إنسان المدن والمتطور حضارياً يكون أكثر تعرضاً للألم من إنسان الغابات البدائية. وفي مثال آخر يرتبط بتطور أذن الإنسان، تذهب المقتطف أن أذن الإنسان ارتقت فتوقفت عن الحركة، فاكتسب الإنسان مع وقوفها حركة أكبر لرأسه ومقدرة على النطق والتنغيم بالألحان وهو يشترك في هذه الخاصية مع القردة التي تقوم صباحاً بضرب ألحان تطرب لها، وهي التي تطلق أصواتاً تشابه أصوات الإنسان البدائي كأسلوب للتفاهم فيما بينها[80]. وأيضاً يتأثر الإنسان كالحيوان والنبات بالإقليم الذي يحيا به ولذلك يكون الاختلاف بين البشر حسب مناطق سكنهم[81].

قد يكون الاختلاف الأقوى بين الإنسان والحيوان هو العقل. وهذا العقل يرتقي في وظيفته عن مجرد الغريزة إلى التفقه بأسباب الكون. وتبرز قوة العقل في الدماغ الإنساني إِذْ إنَّ هذا الدماغ يختلف عن دماغ الحيوانات بوجود طبقة من التلافيف هي في الإنسان الأرقى أكثر دقة وكثافة منها في الإنسان الأقل رقياً حيث يتشابه دماغه بأدمغة القرود أكثر من تشابهه بأدمغة البشر. ومن المسلم به أن العقل الإنساني ذا التلافيف الكثيفة يستطيع خزن المعلومات بصورة أكبر ويتمكن من إنتاج الفكر الإنساني بصورة عامة[82].

79 - المرجع السابق، ص 252.

80 - مجلد 29، ج 10، أكتوبر 1904، ص 851.

81 - مجلد 38، ج 6، يونيو 1911، ص 533 – 536.

82 - مجلد 33، ج 3، آذار 1908.

وتعرف المقتطف العقل بأنَّه "مجموع أفعال الدماغ والأعصاب عموماً وقد ارتقى من التأثر البسيط الذي يشاهد في أدنى أنواع الحيوان"، "فالدماغ آلة والعقل وظيفتها وهما يرتقيان معاً وينحطّان معاً"[83]. وأما ما يميز الارتقاء الوظيفي للدماغ فيتحدد بالأفعال التي تتوزع على نوعين: أفعال آلية وأفعال إرادية أو مدركة. وخلالها يتبدى الفرق الأساسي بين الإنسان والحيوان. "فإن الحيوان خاضع للمؤثرات الخارجية خضوعاً مطلقاً، فما وافقت أفعاله الأحوال التي هو فيها عاش وأخلف نسلاً. وما تضادت أفعاله الأحوال التي هو فيها، ضعف وانقرض نسله فيبقى من أنواع الحيوان ما تنطبق أفعاله على الأحوال المحيطة به"[84]. "أما الإنسان فارتقت قواه العقلية وقويت فيه قوة التميز والإرادة فصار جانب كبير من أعماله إرادياً، أي نمت في دماغه المراكز العصبية التي وظيفتها التمييز بين النافع والضار واختيار الأول والابتعاد عن الثاني"[85]، ولذلك فإن الغريزة والتميز أنواع من ارتقاء الدماغ ولكن يكون الأول من مؤثر داخلي لا يؤدي إلى إدراك كلي، أمَّا الثاني فيكون من مؤثر خارجي يستطيع بعدها أن يفصل بين الآثار ويختار أفضلها.

النقطة الفلسفية المهمة في النقاش الدائر حول رقي الإنسان تتمحور حول تمكن الإنسان في دورة ارتقائه من الأشكال الأدنى إلى كينونته الحالية المتمثلة بالإنسان العاقل المفكر الذي يسعى إلى التفكير في ما يدور حوله. وهذه القضية شغلت الكثير من الفلاسفة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ولأهمية الموضوع فإن المقتطف تتطرق له وتعالجه باستفاضة. فتطرح وجود فريقين الأول لا يهتم بالمستقبل لأنه يعتقد بعدم مقدرة الإنسان على التنبؤ ومعرفة الغيب، أمَّا الثاني فيعدُّ هذه المسألة شغله الشاغل ولاسيَّما أنهم من الشباب. وكان الهم الأكبر عند هؤلاء الشباب التفكير

83 - مجلد 22، ج 4، نيسان 1898، ص 247.

84 - المرجع السابق، ص 249.

85 - المرجع السابق، ص 250.

بما يمكن أن تؤول إليه الطبيعة والكون، فخلال تلك الحقبة ظهرت نظرات تشاؤمية تؤكد أن الكون سائر إلى الفناء وأن الطعام الذي يمكن أن تنتجه الطبيعة سيكون أقل بكثير مما يكفي للبشر، وعلى الأخص أن أعداد البشر في تزايد مضطرد. والغريب واللافت أننا اليوم في بدايات القرن الواحد والعشرين نفكر أيضاً بهذه الصورة التشاؤمية، فالعلماء اليوم يؤكدون بأن الأرض لن تبقى صالحة للحياة إذا ما استمر البشر على الوتيرة الحالية من استخدام الطاقة النافثة للسموم. لكن الإجابة التي قدمتها المقتطف يومها تصلح لتكون الإجابة الفاعلة عن مصير البشرية اليوم، إذْ تقول: إن سلسلة الارتقاء لا تنقطع وإن الإنسان "سائر سيراً مستمراً على سلسلة متزايدة. وإلا فلا معنى لهذا الوجود، وإذا كان الأمر كذلك فمصير الإنسان إلى حالة أرقى من حالته الحاضرة ودلائل الحال تؤيد ذلك. وسيهتدي الناس إلى ما يزيد راحتهم ورفاهتهم ويمنع الشرور والمفاسد والآلام. هذه هي الحالة العامة التي يصير إليها نوع الإنسان"[86].

كان تأثير هذا الموضوع محدود الأصداء إلى أن قدم سلامة موسى موضوعه عن "نيتشه وابن الإنسان" في الجزء السادس عام 1909، حيث طرح فيه فكرة نيتشه بأن يتم إصلاح النسل من خلال منع التزاوج إلا لبني الإنسان الخالين من العاهات والنواقص بحيث يتم فحص كل من يتزوج بغرض تحسين الأجيال القادمة للإنسانية وضبط عملية تزايد العاهات في المجتمع. وترى المقتطف أن مصير الإنسانية لا بد أن يصل إلى مرحلة يتبارى فيها بإصلاح نسله بدل الحروب الدائرة، وتلاحظ المقتطف أن الناس يعتنون بمزروعاتهم أكثر من العناية بالنسل ولذلك نستطيع "أن نقول لليتيم والمعتوه إنَّك إن تزوجت وخلقت نسلاً أكثرت السقماء والمعتوهين في

86 - مجلد 29، ج 8، آب 1904، ص 656. من الجدير ملاحظته أنَّ هذه الأفكار بدأت مع طرح المقتطف لفكر سبنس والذي سنأتي على تأثيره في الجزء الخامس من البحث، مع بداية عام 1904.

الأمة، وأن نقول للحكومة إنَّك إن لم تهتمي بتربية أبناء أمتك جسداً وعقـلاً ضـعفت وانحطت من حصان الأمم الراقية، لأنَّ هذه الأمور من الحقائق العملية المثبتة وكـل من يعلمها مطالب بإذاعتها"[87].

ومن الجدير ملاحظته أن فكرة إصلاح النسل كانت قد طرحت في عـام 1904 أيضاً، ففي مقالة بعنوان: "إصلاح النسل" طرحت المقتطف الموضوع مـع مراعـاة أمور ثلاثة هي: "أولاً: يجب أن يعد من المسائل المألوفة حتى تدرك حقيقـة أهميتـه. ثانياً: يجب أن يعدُّ موضوعاً يسهل الجري عليه فعلاً. ثالثاً: يجيب أن ينقش على ذهن الأمة كأنه دين جديد يستحق أن يصير فرضاً دينياً واجب الأداء في المـستقبل لأنـه يعاون الطبيعة على وجوب اختيار الأصلح من طوائف الإنسان ليمثل النوع كله"[88].

هذا الحديث عن إصلاح النسل الإنساني يؤدي بالضرورة إلى الحديث عن النوع البشري وإلى الحديث عن إمكانية وجود حياة في كوكب آخر، وإمكانية الحياة للإنسان على كواكب أخرى، إن وجد كوكب يستوعب الحياة الإنسانية. وتبدأ دراسة الكواكـب الأخرى بضرورة دراسة الأرض على أنها الأكثر إمكانية للدراسة فعند البحـث فـي أساليب معرفة عمر الأرض والمدة التي احتاجتها لتبرد ثم لتتحول إلى عصر جليـدي ومن ثم تعود إلى مرحلة يمكن العيش خلالها. تساعد هذه المعرفة في تحديد إمكانيـة التطور على الكواكب الأخرى والمدة التي يحتاج إليها كل كوكـب مـشابه لظـروف الأرض لتتطور فيه احتمالات وجود الحياة.

ولمعرفة تلك الكواكب التي لا يمكن أن توجد الحياة بها، تقدم المقتطـف مقـالاً بعنوان "نمو الأرض ومواليدها" تسرد من خلاله الطرائق التي تستخدم فـي معرفـة أصول الأرض وعمر النباتات والأحياء داخلها. ثم عندما تبدأ بالحديث عـن إمكانيـة

87 - مجلد 34، ج 7، تموز 1909، ص 624.

88 - مجلد 29، ج 8، آب 1904، 698.

وجود حياة في الكواكب الأخرى تبدأ المقتطف بالتساؤل: "هل يعقل أن تكون الأرض مسكونة وتلك العوالم خالية من السكان خلقت لكي تدور أفلاكها وترى من الأرض كنقطة صغيرة في كبد السماء والأرض وحدها من بين كل العوالم تسكنها المخلوقات العاقلة وغير العاقلة وهي أصغرها جرماً ولا تمتاز عليها بوجه من الوجوه"[89]، ولها مطلق الحق بالتساؤل، فما هو معروف وما أصبح الآن بحكم المؤكد، أن الكثير من الكواكب تحتوي على المواد الموجدة للحياة وبكميات كافية، ومن ثمَّ يجب أن تكون هناك إمكانية للحياة. وحتى لو سلمنا باختلاف الطبيعة في الكواكب الأخرى ففي الإمكان منطقياً أن نتخيل كوكباً يمكن للبشر أو الكائنات الحية أن تحيا ضمن الظروف الخاصة بذلك الكوكب، من برد أو درجات حرارة متدنية، فإذا كان الإنسان لوجود النسبة الكبرى في جسمه من الماء لا يستطيع العيش في تلك الظروف، فمن الممكن لكائن تكون النسبة الكبرى في جسمه لمواد لا تتجمد مع درجات دنيا، أن يحيا في ظروف أكثر برداً؟؟ ولذلك "فمن المؤكد الذي لا ريب فيه أنَّه إذا كان لا بد من بقاء الأحياء في حرارة أوطأ كثيراً من حرارة سطح الأرض الآن، فلا بد من أن يزول الماء من أجسامها ويحل محله سائل آخر لا يسهل تجميده مثله"[90].

ولكن النقاش العالمي كان محتدماً في تلك المدة عن هذه الإمكانية فنرى بعض العلماء مثل د. ولس يؤكد أن لا حياة في غير الأرض، وتقوم مسلمته هذه على فكرة علمية لم تعد مقبولة الآن، إذ ثبت نفيها، وهذه الفكرة مفادها أن النجوم الكبيرة "التي ترى في كبد السماء مزدوجة أي كل نجم منها اثنان يدور أحدهما على الآخر ومتى كانت النجوم كذلك يتعرض جانب من كل منها للحر الشديد والبرد الشديد على التوالي فيتعذر على الأحياء أن تعيش"[91].

89 - مجلد 30، ج 11، نوفمبر 1905، ص 881.

90 - المرجع السابق، ص 887.

91 - مجلد 31، ج 1، يناير 1906، ص 8.

لكن السؤال يبقى مطروحاً وبشكل متزايد، إذ إنَّ العلماء قد اختلفوا في حقيقة ما شاهدوه فيقول أحد الفلكيين بوجود إمكانية "تجعل السيارات التي تدور حولها - الشموس والكواكب البعيدة - صالحة لمخلوقات مثل الإنسان"[92].

فإمكانية وجود حياة على هذا الكوكب من قبل الإنسان لم تأتِ بغير عناء ومن دون دوافع ملموسة له لكي يحافظ على وجوده واستمراريته، ولهذا كان احتمال وجود مخلوقات تصارع من أجل وجودها على الكواكب الأخرى مسألة متعاظمة الاحتمال.

3 - 7 النشوء والارتقاء بصورة عامة

رغم السجال التي تقدمه المقتطف عبر أعدادها المتلاحقة نجد عندها نوعاً من عدم التيقن مما تقدمه من مادة بصورة كاملة، وإنما تبرز كمن يقدم حقائق علمية لا شأن له بمردوداتها. فتؤكد مثلاً، عدم تعارض نظرية النشوء والارتقاء مع الدين ومع علماء اللاهوت، في حين أنهم هم أنفسهم "لم يقولوا قط أن مذهب النشوء هو المذهب الصحيح ولا أنه قد ثبت ثبوتاً ينفي كل ريب بل إن خلاصة ما قلناه وما نقوله هو أن أكثر العلماء قد سلموا بهذا المذهب واعتقدوه صحيحاً"[93]. ثم تنصح المقتطف جمهور القراء الذين لا يشتغلون بالمباحث العلمية بأن "يتركوا هذا المذهب وأمثاله إلى أن يثبت ثبوتاً ينفي كل ريب أو ينقض نقضاً ينفي كل ريب وحينئذٍ لا نبخل عليهم بنشر ما يكون من إثباته أو نقضه كما أننا لم نبخل عليهم بنشر جميع الأدلة التي معه والتي عليه شأن المؤرخ الأمين الذي لا يخشى في تقرير الحقائق لومة لائم"[94]. وهذا الموقف تبنته المقتطف في حالته السلبية هذه إلى مدة طويلة نسبياً.

92 - مجلد 33، ج 9، سبتمبر 1908، ص743.

93 - مجلد 15، ج 6، آذار 1981، ص 354.

94 - المرجع السابق، ص 365.

تحاول المقتطف أن تتتبع تطور الأذن والعين في الكائنات حتى وصولها إلى وضعها المتميز في الإنسان لتقرر في النهاية أن "العين والأذن تولدتا من الجلد تولداً بالتنوع والارتقاء المستمرين جرياً على النواميس الطبيعية ولا تزالان تتكونان كذلك في كل فرد من أفراد الحيوان كما تكونتا في نوعه وإلا فلا معنى لهذا التدرج فيها"[95]. أما عن الولادة، فتحدد المقتطف الاختلاف في شكل الولادة والنمو بين الأنواع الأقل ارتقاء والأنواع الأكثر ارتقاء لتصل إلى أن الحيوانات والكائنات الأقل ارتقاءً يمكن أن تنمو وتتوالد من أي جزء فيها، بينما عندما تبدأ الأنواع بالارتقاء نجد أن أجزاءها تبدأ بالتخصص أكثر فأكثر إلى أن تصل في الحيوانات العليا إلى ضرورة وجود أجهزة خاصة للتوالد، وتربط المقتطف ذلك بظاهرة تقسيم العمل فتقول "والظاهر أن انحصارها هذا تابع لناموس تقسيم الأعمال الذي سنه الخالق لمخلوقاته. هذا رأي الذين يرون حوادث الكون ويحاولون تحليلها وإلحاقها بنواميس عامة قليلة العدد وهذه هي النتيجة التي أوصلهم إليها البحث" وحتى لمن لا يعتقد بنواميس عامة فإن "أعمالهم تشهد أنهم يعتقدون بخضوع الموجودات كلها لنواميس مقررة ولو خالفوا ذلك بأقوالهم"[96].

4 آفاق المقتطف الفلسفية والإنسانية عبر نظرية النشوء والارتقاء

لاشك أن البعد الفلسفي متضمن داخل فكرة التطور بشكل عام دون أن نحاول توظيف أي فكرة كانت على نحو محدد. ولكن رغم ذلك يبقى أنَّ هذا الإطار العام من الممكن أن يحتوي داخله مواقف فلسفية مختلفة منها المادي واللا- أدري والحيوي (المثالي). ولذلك وجب علينا أن نتناول هذا التصور بنوع من التحليل لنحدد أين تقع المقتطف (يعقوب صروف) من هذا التقييم وأين تقع بعض الموضوعات منه، من

95 - مجلد 34، ج 5، مايو 1909، ص 455.

96 - مجلد 16، ج 6، مارس 1892، ص 365.

الملاحظ أن الكتابة في الأبعاد الفكرية والفلسفية لفلسفة النشوء والارتقاء كانت منحصرة نوعاً ما في المقتطف فإذا استثنينا شبلي الشميل وهو مستثنى من البحث بصورة عامة لأن مدة نشاطه في المقتطف تبرز منذ عام 1877 إلى عام 1882 وهي السنة التي ابتدأ بها البحث[97].

أما هنا فسيتم التركيز بشكل أساسي على موقف المقتطف متمثلاً بمقالات يعقوب صروف ثم لا بد من التعريج لإلقاء الضوء على مواقف كل من متري قندلفت، واسكندر شاهين، فضلاً عن مقالتين واحدة لمفيد محمد وأخرى لأحمد رضا.

ركزت المقتطف على مستقبل الإنسان بصورة خاصة أكثر من تناولها مفهوم التطور على صعيد المجتمع، فاهتمت، بمسألة إصلاح النسل لأنها من المسائل التي تساعد على ترفيه الإنسان إذ لا الانتخاب الجنسي ولا الانتخاب الطبيعي له أي فاعلية عليه ولذلك ترى المقتطف أنه "لا بد من الاتجاه إلى الانتخاب الصناعي كما في الحيوانات الأهلية، أي أن يمنع زواج السكير والمريض والفاسد الآداب والأخلاق ولا يباح الزواج إلا لأصحاء العقول والأبدان والآداب ولا يخفى أن هذا المذهب مما يستحيل العمل به لأنه يتعرض حتى لحرية الأفراد ولا يمكن الامتثال له"[98]. وتكمل بأن هناك بدائل نفسية وتربوية لإخراج أجيال واعية تستطيع أن تختار هي نفسها الزيجات المثالية ومن ثمَّ تنفذ خطة إصلاح النسل بصورة غير مباشرة، إذ لا يمكن سن قانون منع الزواج ولكن ممكن الاعتماد على التنشئة في توجيه الزواج.

97 - يمكن القول إنَّ هذا البحث في تتبع فكرة النشوء والارتقاء هي مكمل طبيعي لكتاب شبلي شميل عن النشوء والارتقاء، لأنه يبدأ بالبحث في الفكرة وتطورها من اللحظة التي انتهى عندها بحث الشميل.

98 - مجلد 15، ج 3، كانون الأول 1890، ص 174.

وضمن المعطيات جميعها التي ظهرت للمقتطف، فإنها ترى أنه لا بد للإنسان في السير إلى الارتقاء رغماً "عما يرى فيه من الشرور والمفاسد، فالعلماء لا يكفّون عن البحث في نواميس الكون لكي يحذر الناس تعديها وينتفعوا بها"[99]. وضمن نظرة المقتطف إلى الأخلاق فإنها تعدُّ أن الأخلاق تكتسب بالعادة والتدرب وليس بالوراثة، أي أنها ليست طبيعة في الإنسان بل مكتسبة ويمكن تعديلها، وتبني المقتطف على ذلك الاستنتاجات الآتية:

1) " إنَّ الناس يولدون اليوم وفيهم الاستعداد والتفاوت لقبول الأخلاق التي يربون عليها فيكتسبونها بالعادة والتدرب حتى تصير قدرات فيهم".

2) "لا يبقى وجه للمسألة التي أشكلت الفلاسفة القدماء ونعني بها هل كان الناس أخيارا أم أشراراً بالطبع أم كان بعضهم أخياراً وبعضهم أشراراً بالطبع كما يتضح بإمعان النظر".

3) " إن التأديب والتعليم والوعظ وحسن السياسة تلطّف الطباع وتقوّم الأخلاق وأنه يمكن بها إضعاف الأخلاق الشريرة وتقوية الأخلاق الصالحة وتأهيل الفضائل في النفوس واستئصال الرذائل منها"[100].

ونلمس من هذه الاستنتاجات نزعة سيكولوحية فردانية لا نزعة اجتماعية من أي نوع إصلاحية كانت أم غيرها. والنزعة الفردانية عند المقتطف تبرز دائماً وهي نتيجة حتمية لرؤيتها المثالية للطبيعة والكون فهي تعدُّ أنّه مهما يكن مآل هذه الحياة سيئاً كان أم حسناً فلا بد لنا من حياة ثانية إذ دون هذا الأمل لا معنى للحياة أبداً. وفي مجمل الرد على رواية تحكي عن أفول العمران وانتهاء البشر عن وجه البسيطة، يقول صروف: إنَّ ذلك محالاً إذ لا بد للكون من خالق سرمدي (وهذا ما تقرّ به

99 - المرجع السابق، ص 175.

100 - مجلد 16، ج 6، آذار 1892، ص 294 – 295.

الرواية) ومن ثمَّ "فهل يجوز على عقل عاقل أن السرمدي الذي يشهد كل ما في هـذا الكون بأنه أعقل من كل ما في الكون يخلق ويمحق بلا غاية ولا قصد، تعالى عن هذا التشبيه علواً كبيراً. فإن كان البشر لم يخلقوا سدى بل وجدوا لقصد وغاية لم يبلغوهـا وهم في قيد الحياة فلا بد لبلوغهم إياها من أن يبقوا بعد الممات"[101].

وإن كان هذا الموقف على صعيد المشكلة الأولى في الفلسفة تحسمها المقتطـف لصالح المثالية، فمن الطبيعي أن تنعكس على مواقفها من كل الـصراع الاجتمـاعي أيضاً، ومن ثمَّ فنراها تحسم الصراع الاجتماعي كله أيضاً لصالح الرأسمالية. فكانـت بذلك رافضة لكل المواقف الوطنية والثورية التي انتشرت في مصر في تلـك الأيـام، وهي تعدُّ أن هذه الحركات "بكلياتها وجزئياتها ومصادرها ومراميها"، "تجارة يتـاجر بها قوم لنفعهم الذاتي وإنهم إذا أعطوا ما يتمنون صمتوا وإذا صارت لهم السيادة كانوا أشد وطأة على الفلاح من الذين يشكون منهم الآن، وهـذا القـول إجمـالي كمـا لا يخفي"[102]. وهذه الرؤية تؤكد الموقف الفرداني النزعة عند المقتطف .

وهي عندما تنظر إلى جدلية الداخل والخارج تعدُّ أنه يستلزم على المثقفين العرب عند اقتباسهم من التراث الغربي أن يأخذوا الجيد دون الـسيئ، أي يكونـوا انتقـائيين "يجب على أبناء العربية الذين يقتبسون من أفكار الأوروبيين أن يكونوا كالنحل يحبون العسل ويتركون ما سواه. أما في أوروبا فالجمهور المتعلم يميز بين الغـث والـسمين فقلما تضر به تعاليم المتطرفين ولاسيَّما أنَّ كثيرين يخطئّونها ويبينون فسادها، وأمـا عندنا فقلما يستطيع الجمهور التمييز بين الغث والسمين والضلال والصواب وبلادنـا في غنى عن الآراء السخيفة لكثرة ما فيها منها"[103].

101 - مجلد 16، ج 10، أكتوبر 1891، ص 20.

102 - مجلد 37، ج 3، أيلول 1907، ص 853.

103 - مجلد 37، ج 2، سبتمبر 1910، ص 855.

وتعرض المقتطف بشكل انتقائي تقريباً الآراء الفلسفة لبعض المفكرين الغـربيين ولكنها حين تعرضها تحاول أن تأخذ ما يتوافق مع معتقدات المقتطف الفلسفية (يعقوب صروف). وقد يكون للفيلسوف هربرت سبنسر النصيب الأكبر مـن الاهتمـام لـدى المقتطف، ففضلاً عن اهتمامها المترافق بنظرياته وآرائه التي نشرت أعداد المقتطـف سنه 1904 (أي بعد وفاة سبنسر 1903/12/8)، بوصف وتفصيل فكر سبنـسر بـين الجزء الأول والخامس من تلك السنة، وكان الاهتمام الأكبر لتلك الانعكاسات الفلـسفية لنظرية التطور (النشوء والارتقاء) بفكر سبنسر الاجتماعي، ثـم اهتمامهـا بأصـول التربية والتعليم حسب رأي سبنسر وهي مسألة تتعلق بشكل أو بآخر بارتقاء الأمم[104].

الجزء الثاني من الأفكار الفلسفية التي تصدرت صفحات المقتطـف لـم تـرتبط بشكل مباشر بمواقف يعقوب صروف، لكنها كانت تعبر عن الخط الفكـري العربـي المتأثر بفكرة النشوء والارتقاء.

متري قندلفت: مفكر يعتمد على فكرة النشوء والارتقاء في العمران كما هي فـي الطبيعة فيقول "لا جرم أن ناموس النشوء العام المحيط بما عرف من شـرائع الكـون يتسم على ارتقاء العلوم ونشأتها تدرجاً من بسائط أصلية إلى مركبات فرعيـة فيتولـد من أمهات تلك العلوم أنواع وصنوف بارتقاء العمران كما تتولد القبائل مـن الأجـداد وتنسل الآباء الأولاد"[105]. ويعدُّ ضمن هذا المنظور أن للعمران ثلاث دوائر متداخلـة (في كونه علماً) "أولها تدوين الوقائع، ثانيها: تعليلها الاجتماعي ثالثها: وهو المحـيط بهاتين الدائرتين فلسفة نشوئها وارتقائها". وبهذا يكون فنري قندلفت متأثراً وبـصورة مباشرة بفكر سبنسر الاجتماعي، ولكن يحاول ومن خلال إقحام نظريات ابن خلـدون

104 - "وفاة سبنسر" مجلد 29، ج 1، كانون الثاني 1904، "سبنسر وفلسفته"، مجلد 29، ج 2، شباط 1904، "فلسفة سبنسر"، مجلد 29، ج 3، آذار 1904، وأيضاً يكمل فـي ج 4، نيـسان 1904، "آراء سبنسر في التعليم"، مجلد 29، ج 5، أيار 1904.

105 - مجلد 27، ج 12، كانون الثاني، 1902، ص 1163.

الاجتماعية أن يبين مدى انحصارها في إطار التمدن والعمران. ولذلك فهو يتعدى المفهوم الخلدوني لعلم الاجتماع ليعرفه على انه "اشتراك علم العمران مع علم الحياة بمبادئ النشوء والارتقاء وإدراج العلمين في سلك واحد"، وهذا هو السبب في التقدم والنماء[106].

ويعتقد قندلفت بأن المبدأ الأول في العمران هو نفسه المبدأ الأول في النشوء والارتقاء أي ناموس الاستعمال والإهمال "مع حفظ الموازنة بين تأثير المحيط الخارجي في الأمة وبين تهيئها الداخلي التدريجي"[107]. وهذا الاستعمال والإهمال يقوم على ترك الأنانية والاهتمام بالغيرية، وضمن هذا التصور لا بد أن يأخذ قندلفت بصورة المجتمع البدائي القائم على العدائية حيث كل قبيلة حولها مجموعة من القبائل المتنازعة معها على الغذاء. أما تصور متري قندلفت للتغيير ضمن هذا الارتباط بين نشوء الأحياء وارتقاء الاجتماع وبين ما يلزمنا كشرقيين في معالجة قضايا مجتمعنا، فيقوم تصوره على:

1) "ما دام التقدم لا يرجى لحي قبل تغيّر محيطه فما أحرى أهل الشرق فرادى وجماعات في توخي هذه الغاية بممازجة أمم الارتقاء اليوم ما أحرى أئمة التشريع باقتباس شرائع العدل والمساواة إلى حد التمام".

2) "إن سنّة الارتقاء هي التدريج أبداً والطفرة محال". وفي هذه النظرة رفض لأي شكل من التغير المفاجئ ويتابع "هذا هو الذي يهوّن على المصلحين الحكماء في أي الأجيال ويكبح جماع الحدة والهياج ويأخذ المسالك على أهل التهور ونزق الشباب".

106 - المرجع السابق، ص 1166.

107 - مجلد 28، ج 1، كانون الثاني1903، ص 37.

3) "المرء ابن محيطه على الدوام. فما أجهل من قصر نظره في التنظير بين الأقران فمدح هذا على رقيه وذم ذاك على هبوطه في حال من الأحوال".

4) وهي النقطة الأهم في تقديري إذ يربط خلالها الشكل الاجتماعي المطلوب بتصويره إياه بنبات يكون فيه الغذاء مأخوذاً من الجذور وتغتذي فيه الخلايا المكونة للنبات كلّها، وكذلك المجتمع له جذور يتغذى به المجتمع كلّه فيكون أفراده كوحدة واحدة متناسقة "لا يعلو صياحهم في المحافل والأسواق ولا يمدحون بفضلهم على صفحات الأوراق وينشرون صلاحهم في الآفاق إنَّما هم المربون الأبرار والمرشدون الأصحاء والكتبة العقلاء هم الذين بجهادهم واجتهادهم سيبلغ الشرق ما قدر له من النماء. فعلى أساس بنيانهم تشيد أركانه وبنبراس هديهم يتعالى شأنه في معارك الارتقاء"[108].

وهذا الارتقاء لا يتم إلا بإزالة الفرقة بين المتباعدات، والخضوع لناموس النشوء الكلي الشامل الذي أوجده سبنسر، والتراكب من البسيط إلى المركب، وحتى لو وجد بعض الاختلاف بين علم الحياة وعلم العمران، وإنما لا يؤثر في مجرى التطور الاجتماعي العام. أما على الصعيد التاريخي العام فهناك مبدآن يحكمانه هما: 1) "إن تنوع المحيط الاجتماعي هو الباعث على ملاحقة الأمة له في الأخلاقيات والعقليات". 2) "أن علة تنوع هذا المحيط هي ازدياد الاختلاط والامتزاج بين الأمم التي كان من شأنها الافتراق والانفراد"[109].

وينتهي متري قندلفت بعد شرح مسهب عن نظريات النشوء والارتقاء الاجتماعي وهي كلها تقريباً متأثرة بآراء سبنسر على ما رأينا، فيخلص إلى القول: إنَّ "الأمور التي يشترك فيها ارتقاء الأحياء وتقدم العمران ثلاثة: الأول تقدم من صور قليلة

108 - المرجع السابق، ص 40 - 42

109 - مجلد 28، ج 3، آذار 1903، ص221.

مشتركة غير معينة الحدود إلى صور كثيرة" الثاني: استعداد مستمر الجسم الاجتماع للارتقاء بحسب المحيط. "ثالثاً: تكامل متواصل في المرتقي يتقدم به من مبدأ التفرق والانفراد إلى الانضمام والاتحاد بين أجزاء المركب حتى تبلغ بناء واحداً متلاحم الأجزاء"[110]. وضمن هذا التصور العام لا نرى اختلافاً كبيراً عن هذا الموقف في مقالته الفلسفية "الطبيعة أكبر أستاذ" إذ يعدُّ أن ما نتلقاه من الطبيعة من عقاب وثواب هو الذي يؤدي بنا إلى التعلم.

أما اسكندر شاهين فيحاول أن يبدأ الارتقاء البشري منذ بداية عملية النشوء وتكون المادة الغروية الأولى من ثم استمرار النشوء إلى تكون النباتات والحيوانات، وارتقاء العقل في الحيوان إلى أن كان بالإنسان وهو أرقى الحيوانات على تمامه، فأصبح يفكر في أساليب الاستمرار ضمن الحالة العدائية الموجودة في المجتمع فنراه يؤكد أن اللبنة الأولى للتكون الاجتماعي العائلة ثم القبيلة التي تحاول من خلال استمراريتها رفض الضعفاء وقبول الأقوياء، ونتيجة للانتخاب الاجتماعي نرى أن الأقوياء هم الذين يسودون فتقوم السيادة الاجتماعية على هذا الأساس في حالات الارتقاء الأولى للهيئة الاجتماعية[111].

أما عن ثمار الارتقاء فإن اسكندر شاهين يحددها أولاً: باللغة التي هي حسب رأيه الحد الفاصل بين الإنسان وما دونه من الحيوان وهو أداة التقدم والتمدن وبها ينظر إلى الاجتماع الإنساني، ثانياً: الصنائع التي هي نتاج الحاجة الاجتماعية وثمرة من ثمارها. ترتقي الصناعة برقي المجتمع ويرتقي المجتمع برقي الصنائع في عملية تبادل مستمرة. ثالثاً: العلوم والمعارف وهي تراكم إنساني مستمر نحو معرفته أسمى القوانين والأغراض من أمور هندسية ورياضية وطبيعية. رابعاً: الآداب وهي التي

110 - المرجع السابق، ص 222.

111 - مجلد 12، ج 1، تشرين الأول 1877.

تحدد المستوى العام للارتقاء فكلما ابتعدنا عن الشرور تمكنا من الاقتراب أكثر من الارتقاء الاجتماعي، ويكون قمة الاهتمام بالآداب عندما نحدد أمور تكون محددة للعيوب والشوائب فنحاول تلاشيها، وهي من ثمَّ التي تدفعنا إلى عمل الفضائل والتمسك بالآداب[112]. وهذا التصور عند اسكندر شاهين ومتري قندلفت المتأثر بصورة مباشرة بنظريات سبنسر ونظريات علماء الاجتماع التطوريين يسحب أيضاً على مقال أحمد رضا "الحياة كلها جهاد"[113] ومقال مفيد محمد "الرقي للألم"[114].

5 تأثيرات المقتطف ما بعد تاريخ 1911م

أدّت المقتطف الدور الأساسي في تنشئة جيل جديد من المهتمين بنظرية النشوء والارتقاء ابتدأت اهتماماتهم مع المقتطف وبها واستمروا في طريق الصراع الدائر حول تثبيت الرؤية العلمية في المجتمع العربي. ونذكر أنه بعد عام 1911 دخلت المقتطف مرحلة جديدة من الحرب حول نظريات النشوء والارتقاء من أعوام (1921-1928) أدت تلك المرحلة إلى ظهور مؤلفات مهمة حول النشوء والارتقاء منها كتاب "أصل الأنواع" المترجم من قبل إسماعيل مظهر، ثم كتاب "أصل الإنسان ونظرية التطور" سلامه موسى ثم كتاب "الإنسان قمة التطور" لسلامه موسى ومؤلف إسماعيل مظهر في الرد على منتقدي النشوء والارتقاء "ملتقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء" وغيرها كثير.

ارتأت المقتطف عند إعلانها إغلاق المجلة بدعوة أنها أنهت المهمة الأساسية التي أنشئت المقتطف من أجلها ومن ثمَّ يجب أن تغلق، لكن ما فعلته المقتطف ما كان إلا بداية في طريق وعر ما زال العلم في الوطن العربي يعاني منه، فالانغلاق

112 - مجلد 12، ج 1، تشرين الثاني 1887، ص 71 – 77.

113 - مجلد 28، ج 2، نيسان 1903.

114 - مجلد 38، ج 5، مايو 1911.

والتعمية أمور عادت لتتفاقم الآن، فحتى في أوساط علمية محترمة نرى الكثير من رفض الجدل ورفض النقاش من أي نوع، وذلك نابع بالأساس من رفض التصور العلمي، وهذا الرفض يؤدي بالضرورة إلى رؤية كل من خالف الرأي بأنه عدو لدود لا يسمح له بفتح الحوار أبدا أياً كانت الأسباب.

أدّت المقتطف دوراً رئيسياً في نشر فكر النشوء والارتقاء، وحاولت في الوقت عينه أن توسع دائرة النقاش العلمي والجدل حول مختلف القضايا المرتبطة بالتطور العلمي، فخلقت نوعاً من الجو الثقافي الديمقراطي الحر الذي يستطيع أن يتحدث بالمحظورات دون أن يرمى أصحابها بتهمة الكفر. وفر هذا الجو للمفكرين فسحة للتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم بحرية مما أسهم كثيراً في ظهور عدد ليس بقليل من الأعلام البارزة في الثقافة العربية في مطلع القرن العشرين.

ملحق

قائمة موضوعات مجلة المقتطف المتعلقة بالنشوء والارتقاء من عام 1882م إلـــى عام 1911م.

المجلد	الجزء	التاريخ	الموضوع	الكاتب
7	1	حزيران 1882	شارلز داروين	المقتطف
	1	حزيران 1882	طبائع القرود	المقتطف
	2	تموز 1882	المذهب الداروني	المقتطف
	2	تموز 1882	طبائع القرود (تابع)	المقتطف
	3	آب 1882	المذهب الداروني (تابع)	المقتطف
	3	آب 1882	المذهب الداروني (تابع)	ادون لويس
	4	أيلول 1882	المذهب الداروني (تابع)	جيمس انس
	5	تشرين الأول 1882	المذهب الداروني (تابع)	يوسف الحايك
	12	تموز 1883	عمر الأرض ومواليدها	المقتطف
8	1	حزيران 1883	تعاقب الحيـــوان والنبـــات علـــى الأرض	المقتطف
	2	تموز 1883	تعاقب الحيـــوان والنبـــات علـــى الأرض	المقتطف
9	9	حزيران 1885	غريزة الحيوان	المقتطف
	9	حزيران 1885	يد الإنسان والحيوان	المقتطف
10	7	نيسان 1886	مذهب الارتقاء وحرية العلماء	المقتطف
11	11	آب 1887	هل ينطق الحيوان الأعجم؟	المقتطف
12	1	تشرين الأول 1887	ارتقاء العقل والهيئة الاجتماعية	اسكندر شاهين
	2	تشرين الثاني 1887	ثمار الارتقاء	اسكندر شاهين
13	2	تشرين الثاني 1888	الحيوان الناطق والحيوان الأعجم	المقتطف
14	2	تشرين الثاني 1889	الألم في الحيوان الأعجم	المقتطف
15	1	اكتوبر 1890	تعاون الحيوان	المقتطف
	3	كانون الأول 1890	تعاون الحيوان (تابع)	المقتطف
	2	تشرين الثاني 1890	حقائق في علم الحياة	المقتطف
	3	كانون الأول 1890	مستقبل الإنسان ومصير العمران	المقتطف
	4	كانون الثاني 1891	منشأ الحياة	لويس بدور
	5	شباط 1891	جهاد العلماء (الجنون)	المقتطف
	6	آذار 1891	جهاد العلماء (ارتقاء الإنسان)	المقتطف
	7	نيسان 1891	جهاد العلماء (الظواهر الجوية)	المقتطف
	8	أيار 1891	جهاد العلماء (الصرع)	المقتطف

	9	حزيران 1891	الشعر في الإنسان	المقتطف
	9	حزيران 1891	الحلقات المفقودة	شكري سبيرو
	10	تموز 1891	أصل الإنسان	المقتطف
16	1	أكتوبر 1891	انقضاء العالم	المقتطف
	2	نوفمبر 1891	الانثروبولوجيا أو علم الإنسان	تلخيص مكـب ملر
	4	كانون الثاني 1892	كلام القرود	المقتطف
	5	شباط 1892	اختبار الحيوان	المقتطف
	6	آذار 1892	سر الولادة والنمو	المقتطف
	6	آذار 1892	الخلق	المقتطف
	6	آذار 1892	لغة الكلاب والطيور	المقتطف
	12	أيلول 1892	ذنب الإنسان	المقتطف
17	3	ديسمبر 1892	البحث عن لغة القرود	المقتطف
	3	ديسمبر 1892	نباهة الحيوان	المقتطف
	9	يونيو 1893	فعل المكان بالحيوان	المقتطف
	10	آب 1893	الحياة والماديون والروحيون	المقتطف
19	6	يونيو 1895	أسنان الإنسان والحيوان	المقتطف
20	4	ابريل 1896	المذهب الداروينى	د. حداد
	12	ديسمبر 1896	التولد الذاتي	جميل صدقي
22	1	يناير 1898	انتفاع الإنسان من الحيوان	المقتطف
	4	ابريل 1898	تعلم الحيوان	المقتطف
	4	ابريل 1898	تولد العقول ارتقاؤها	المقتطف
	10	أكتوبر 1898	إجراء الحيوان وطبائعها	المقتطف
24	1	يناير 1900	إدراك الحيوان الأعجم	المقتطف
	5	مايو 1900	الإنسان والحيوان الأعجم	المقتطف
26	1	يناير 1901	الحيوان المزهر والنبات المتفرس	المقتطف
27	9	سبتمبر 1902	تعليم الحيوان	المقتطف
	11	نوفمبر 1902	حياة الجماد واكتشاف هندي عظيم	المقتطف
	11	نوفمبر 1902	تعاون الحيوان	المقتطف
	12	ديسمبر 1902	ناموس النشوء في التقدم والعمران	متري قندلفت
28	1	يناير 1903	ناموس النشوء في التقدم والعمران (تابع)	متري قندلفت
	3	مارس 1903	ناموس النشوء في التقدم والعمران (تابع)	متري قندلفت
	8	أغسطس 1903	ناموس النشوء في التقدم والعمران (تابع)	متري قندلفت
	4	ابريل 1903	الحياة كلها جهاد	احمد رضا

	6	يونيو 1903	تعاون النبات والحيوان	المقتطف
29	1	كانون الثاني 1904	الفيلسوف هربرت سبنسر	المقتطف
	2	شباط 1904	سبنسر وفلسفته	المقتطف
	4	نيسان 1904	فلسفة سبنسر	المقتطف
	8	آب 1904	مصير الإنسان	المقتطف
	8	آب 1904	إصلاح النسل	المقتطف
	8	آب 1904	صوم الحيوان	المقتطف
	10	أكتوبر 1904	أذن الإنسان	متري قندلفت
	12	ديسمبر 1904	الطبيعة أكبر أستاذ	المقتطف
30	4	ابريل 1905	تعلم الإنسان من الحيوان	المقتطف
	6	حزيران 1905	سر الحياة	المقتطف
	7	تموز 1905	التحول الفجائي	المقتطف
	10	أكتوبر 1905	غرائب النبات والحيوان	المقتطف
	11	نوفمبر1905	شيوع مذهب النشوء	جورج دارون
	12	ديسمبر 1905	شمول مذهب النشوء	جورج دارون
	11	نوفمبر 1905	ماضي الأحياء ومستقبلها	المقتطف
31	1	يناير 1906	شمول مذهب النشوء	جورج دارون
	1	يناير 1906	لا أحياء في غير الأرض	المقتطف
	1	يناير 1906	دليل حديث على ناموس النشوء	أمين ابو خاطر
	4	ابريل 1906	التقليد بين الحيوانات	المقتطف
	8	أغسطس 1906	توليد الأحياء	المقتطف
	10	أكتوبر 1906	ألعاب الحيوانات وحيلها	المقتطف
33	1	يناير 1908	نساء المتوحشين	المقتطف
	3	مارس 1908	العقل والدماغ	المقتطف
	4	نيسان 1908	كيف تولدت الطيور	المقتطف
	4	نيسان 1908	حقيقة المادة ووحدة الخلق	المقتطف
	7	تموز 1908	أفي الإمكان كشف السر	المقتطف
	8	أغسطس 1908	عين دارون وولس	المقتطف
	9	سبتمبر 1908	الراهن والواهن في المادية	أنيس الخوري
	10	أكتوبر 1908	الراهن والواهن في المادية (تابع)	أنيس الخوري
	9	سبتمبر 1908	هل يوجد ناس في غير الأرض	المقتطف
	12	ديسمبر 1908	حركات النبات	دارون
34	5	مايو 1909	تولد السمع والبصر	المقتطف
	6	يونيو 1909	نشوء الحيوان والنبات	أنيس الخوري
	6	يونيو 1909	جوامد كالنبات	المقتطف
	7	تموز 1909	إصلاح نسل الإنسان	المقتطف
	6	يونيو 1909	نيتشه وأصل الإنسان	سلامه موسى

	11،12	نوفمبر 1909 ديسمبر 1909	الطبيعيات وارتقاؤها	المقتطف
35	2	آب 1909	تشارلس دارون	المقتطف
	2	آب 1909	الحياة والموت	سلامه موسى
	2	آب 1909	أصل الانتخاب الطبيعي	المقتطف
	2	آب 1909	نشوء الإنسان والحيوان	أنيس الخوري
	6	ديسمبر 1909	ما هي الحياة	عن د. كنج
36	5	مايو 1910	نظريات النشوء والحاضرة	سلامة موسى
37	1	يوليو 1910	د. شميل وفلسفة النشوء	د. نقولا فياض
	2	آب 1910	عجائب المخلوقات	المقتطف
	2	آب 1910	الأستاذ هكل وتهمه التزوير	المقتطف
	3	أيلول 1910	ارتقاء الأمم وانحطاطها	سلامه موسى
	3	أيلول 1910	تأثر النبات مما يحيط به	المقتطف
38	1	يناير 1911	منشأ الإنسان الأول	المقتطف
	2	شباط 1911	متى ظهر الإنسان على الأرض	المقتطف
	3	آذار 1911	أصل الإنسان	إلياس غضيان
	3	آذار 1911	عالم الأحياء	المقتطف
	5	أيار 1911	الرقي والألم	مفيد محمد
39	2	آب 1911	مذهب النشوء والتسلسل	نصيف الجندي

المراجع والمصادر

- حوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهـــار، ط 3، بيـــروت 1977.
- شميل، شبلي، فلسفة النشوء والارتقاء، دار مارون عبود، طبعة جديدة ، بيروت 1983، ص 63.
- صروف، فؤاد، يعقوب صروف، دار المقتطف، القاهرة دون تاريخ.
- عبدو، محمد، الإسلام والنصرانية بين العلم والدين، مع مقدمـــة لمحمـــد رشـــيد رضا، دار الحداثة، بيروت 1981.
- ليفين، ز. ل.، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث، دار ابن خلـــدون، بيـــروت 1978.
- محافظة، علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الدار الأهليـــة للنشر، ط 5، بيروت 1987.
- المصري، أيفون، فلسفة العلم والدين لدى شبلي شميل، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان 1988.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2008/3/31.